

دُرُوسٌ فِي
شِعْرِ
نُوافِرِ الْمُلْكِ

لِإِمامِ الْجَمَادِ سِيِّدِ الْأَئْمَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْرَلَوْهَجَدَةِ

رَحْمَةُ اللهِ

أَقَاماً

فَاعْلَمُ بِتَقْرِينِ الرَّكْعَةِ

صَالِحُ بْنُ فُوزَانَ الْفَوزَانَ

مُضْطَرُ الْجَنَّةِ الدَّارِعَةِ لِلْإِنْقَاتِ وَمُضْطَرُ حَسَنَةِ كُلِّ الْعُلَمَاءِ

أُتْرَفَ عَلَى إِخْرَاجِهِ

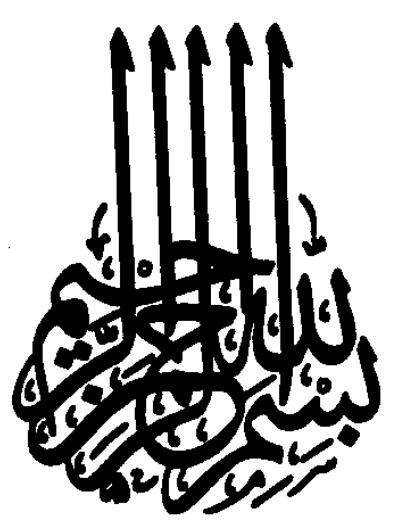
مُحَمَّدِ بْنِ فَهْرَدِ الْحَسِينِ

الطبعة الثالثة

مُرْسَدَةٌ وَمُفْتَحَةٌ

مَكَتبَةُ الرَّسُولِ
تَأْشِيرُونَ

دُرُوسٌ مِّنْ فِي
شَرِحِ نَوْفَلِ الْمَلَك



دُرُسْعَهِ فِي

شِرْكَ نَوْفَضُ الْمُؤْمِنِ

لِإِعْلَامِ الْجَعْدِ شِيخِ الْإِسْلَامِ

مُحَمَّدْ بْنُ عَبْدِ اللَّٰهِ الْوَقَبَّاتِ

رَحْمَةُ اللَّٰهِ

أَلْقَاهَا

مُعَايِحٌ شِيخُ الرِّكْعَةِ

صَالِحٌ بْنُ فَوزَانَ الْفَوْزَانَ

عَضُوُّ الْجُنَاحَةِ الدَّائِمَةِ لِلِّفْقَادِ وَعَضُوُّ هَيْثَةِ كُبَارِ الْعُلَمَاءِ

أَتْرَفَ عَلَىِ اِغْرَاجِهِ

مُحَمَّدْ بْنُ فَرَّهَتِ الرَّاضِيِّ

الطبعة الثالثة
منهيدة ومنقحة

مَكَبِّبَةُ الْمُهَاجِرِ
سَاسِيَّةُ

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله

شرح نوافع الإسلام / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان؛ محمد فهد الحصين. — الرياض، ١٤٢٥هـ

٢٠٨ × ١٧ سم؛ ٢٠٣ ص

ردمك: ٩٩٦٠-٤٤-٤٦٠-

١- التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية ٣- الإسلام: دفع مطاعن
أ- الحصين، محمد فهد (محقق)

١٤٢٥/٣٨٢

٢٤٠ ديوبي

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٨٢

ردمك: ٩٩٦٠-٤٤-٤٦٠-

الطبعة الرابعة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

جميع الحقوق محفوظة



مكتبة الرشد - ناشرون

الملكة العربية السعودية - الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق المحاجز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

★ الرِّيَاض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١

★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦

★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفارى: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧

★ فرع جدة: ميدان الطائف: هاتف: ٦٦٧٦٣٣١ - فاكس: ٦٦٧٦٣٥٤

★ فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٣٢٤١٣٥٨

★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: هاتف: ٢٣١٧٣٠٧ - تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧

★ فرع الدمام: شارع الخازان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤١٨٤٧٣

★ فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠٦٢٢٦٥٣

★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد ، خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا أَدْخُلُوا فِي الْسِّلْمَ كَافَةً وَلَا تَثْبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وهذا شرح لرسالة نوافع الإسلام العشرة لشيخ الإسلام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، كنت قد ألقيته دروساً في المسجد فرأى بعض الإخوان تفريغه من الأشرطة وطباعته واستأذني في ذلك فأذنت له ، عسى أن يكون فيه شيء من الفائدة.

حيث قام الشيخ الفاضل الأخ: محمد بن فهد الحصين بهذا العمل فجزاه الله خيراً ونفع به ، وقد أذنت له بطبعاته ونشره ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

في ١٤٢٤/١١/٥ هـ

مقدمة

لله رب العالمين . والصلوة والسلام على بنينا محمد، خاتم النبيين .
وعلی آله وآله واصحابه . والتائبين لهم باهتمامه العظيم الدين .

أما بعد : فقد حاول الله تعالى أن يأوي إلى الناس أهلاً دخلوا
نحو الملة كافية ولا تتبعوا اهواء الشيطانـ إنما ذلك عدو
صيانتـ وهذا أرجح لرسالة نوافع الإسلام العشرة
لشيخ الإسلام الإمام المحدث الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
كنت قد أقصى دروسه في المسجد فرأى بعض الإخوان
تضرعهم من الأشدة وطلبوا ملائكة واستأذنت في ذلك
فأذنت لهمـ أربيلـ وفيه شئ من القاعدة
حيث قام الشيخ الفاضل الأزفيـ محمد بن عبد العزيزـ بهذا العمل
خبرـ اللهـ خيراً وفعلاًـ وذرتـ له بخطـهـ
ونشرـهــ ووصلـيـ للـ حـكـمـ عـلـىـ بـنـيـ مـحـمـدـ وـآلـ وـصـيـيـهــ

كتبهـ
صالحـ خـوزـانـ عـبدـ اللهـ
الخـوزـانـ

١٤٤٢/١١/٥

دـ شـيـخـ فـوزـانـ الـعـبـدـ الـخـوزـانـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُلْكُ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

رِئَاسَةُ

إِداَةِ الْبَحْثِ الْعَلَمِيِّ وَالْإِفَاءَةِ

الرقم :
التاريخ :
المشروعات :
الموضوع :

الحمد لله وبعد : مقدماً ذكرت للشيخ محمد بن خالد الحصيري بطبع تابعي :
(دروس في شرح نوافعه الإسلام) للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب
لذا مستمراً باهادرة حبيبه طحان فقد تذكر
ربالله التوضيح ، وصل إلى دروسه على نبينا محمد وأله وصحيفه

كتبه :

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان



١٤٢٥/٤/٢٩

(

لِشَرِكَةِ اللَّهِ بِالْجَنَاحِ الْأَخْيَرِ

مقدمة محمد الشورم

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله المولى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحياه ، وكم من ضالٍ تائِهٍ قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يبتدعون كل ماتهواه نفوسهم وترضاهم عقوتهم معتقدين جازمين أن ذلك هو الفلاح والسبيل إلى الجنات حتى وصل بهم الحال إلى خديعة الناس بكثرة الشبه وكأنها قطع من الليل فنعود بالله من فتن المضلين^(١).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فمن أهم مصنفات شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في أبواب العقيدة [نواقض الإسلام العشرة] والتي صنفها رحمه الله تعالى حينما رأى في عصره مايندى له

(١) مقدمة الإمام أحمد لكتابه: «الرد على الجهمية» طبع إدارة البحث العلمية.

الجبين ويدمسي له القلب ، فدعى الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة وترك عبادة ماسواه وحذرهم من الوقوع في الشرك ، وقام مجاهداً لإخراج الناس من ظلمات الشرك والبدع إلى نور التوحيد والسنّة لا يخاف في الله لومة لائم ، فصنف هذه النواقص محدراً الناس من الوقوع فيها فجزاه الله عن أمة محمد عليه الصلاة والسلام خير الجزاء . وقد عني العلماء وطلاب العلم بهذه النواقص فحفظوها وقاموا بشرحها والتعليق عليها وتدريسها في المساجد على معتقد أهل السنّة والجماعة لا على معتقد أهل التكفير والمخربات الذين شرحوا هذه النواقص على ماتهواه نفوسهم ، وغروا به الكثير من عامة الناس وخاصة منهم .

ومن ثم ابتلينا بأهل البدع والشقاق والنفاق الذين قدحوا في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب واتهموا كتبه وكتب الدعوة السلفية بأنها مصدر الإرهاب والتطرف ، سيراً على ما ي قوله الروافض والكافر في هذا الزمان الذين حذروا منه ومن دعوته ووصفوها بالوهابية وغير ذلك من ألقاب أهل البدع .

وصدق أحمد بن سنانقطان حيث قال : ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث .^(١) وقال أبو حاتم الرازي : علامة أهل البدع : الوقعية في أهل الأثر . وعلامة الزنادقة : تسميتهم أهل الأثر حشوية ، يريدون بذلك إبطال الأثار . وعلامة القدرية : تسميتهم أهل

(١) رواه الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ٣٠٠)

السنة مجبرة . وعلامة الجهمية : تسميتهم أهل السنة مشبهة . وعلامة الرافضة : تسميتهم أهل الأثر نابتاً وناصبة .

قلت : وكل ذلك عصبية ، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث .^(١)

ولقد أنعم الله على شيخنا العلامة الفقيه صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله تعالى - بشرح هذه النوافع في مسجد الأمير: متعب بن عبد العزيز آل سعود شرعاً كافياً وافيأ لنعم به الفائدة المقصودة والمرجوة ، وقد حرصت على إخراج هذا الشرح بالصورة التي ترونها فطلبت من الشيخ تفريغ هذا الشرح النافع ، فأذن لي بذلك ثم عرضته عليه بعد تفريغه وصفه مع إضافة الأسئلة المهمة المتعلقة في كل ناقض من نوافع الإسلام لنعم الفائدة المقصودة ، فنظر فيه وقام وأضاف وحذف ما رأى ، ثم أجازني خطياً بشره ، والله الحمد والمنة .

وفي الختام أسأل الله جل وعلا أن يبارك في هذا الجهد وأن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم صواباً على سنة نبينا محمد ﷺ وأن ينور بصائر وأبصار القارئين لمعرفة الحق من الباطل وأن يوفق شيخنا لما يحب ويرضى وأن يغفر للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأن يسكنه فسيح جناته وأن يحيطنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

وصل الله وسلم على محمد سيد الأنام وعلى آله وأصحابه الكرام
 وسلم تسلیماً كثيراً.

كتبه محمد بن فهد الحصين

١٤٢٤/١٢/٢٨

M11121112@hotmail.com

ترجمة مؤلف المتن

نسبة :

هو الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من وهرة بنى تميم.

مؤلفه :

ولد الإمام المجدد رحمه الله في بلدة العينية سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم وشرف ودين ، فأبواه عالم كبير وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

نشأته :

نشأ في بيت علم وشرف ودين ، وحفظ القرآن قبل بلوغه عشر سنين ، ودرس الفقه حتى نال حظاً وافراً من العلم ، وكان موضع الإعجاب من والده لقوه حفظه ، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث ، وجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون ، ورحل في طلب العلم إلى الأحساء وإلى مكة والمدينة وقرأ على علماء المدينة ومنهم العلامة الشيخ عبدالله بن إبراهيم الشمري النجدي المدنبي، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمري النجدي المدنبي مؤلف كتاب العذب الفائض في شرح الفقية الفرائض وعرفاه بالحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات ثم دخل العراق وقرأ على علمائها في البصرة ، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - قد وهبه الله فهماً ثاقباً ، وذكاءً مفرطاً ، وأكب على المطالعة والبحث والتأليف ،

وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسام من الكتابة ، وقد خط كتبًا كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم - رحهما الله - ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

مؤلفاته :

ألف الشيخ - رحمه الله - مؤلفات كثيرة مفيدة منها :

- كتاب التوحيد.
- كشف الشبهات.
- الأصول الثلاثة.
- نواقض الإسلام.
- مسائل الجاهلية.
- مختصر زاد المعاد.
- القواعد الأربع.
- مختصر الإنصاف والشرح الكبير.
- الكبائر ، وغيرها.

وفاته :

توفي - رحمه الله - في عام ١٢٠٦ للهجرة ، بعد عمر يقارب ٩١ سنة ، عمرها بالدعوة إلى الله تعالى والجهاد والعلم والتعليم ، رحمة الله ورضي عنه وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة. ^(١)

(١) انظر علماء الدعوة ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ والإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته ، لسماعة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله.

الدرس الأول

في بيان مقدمة نافعة . إن شاء الله .

قبل الشروع في شرح نوافع الإسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على نبينا محمد وآلـه وصحبه ، وبعد :

النـوافـعـ : جـمـعـ نـاقـضـ اـسـمـ فـاعـلـ منـ نـقـضـ الشـيـءـ إـذـ حـلـهـ وـهـدـمـهـ وـأـفـسـدـهـ ، قـالـ تـعـالـىـ : ﴿وَلَا تُنْقُضُوا الْأَيْمَنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النـحـلـ: ٩١ـ] ، وـقـالـ تـعـالـىـ : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَثَتْ﴾ [النـحـلـ: ٩٢ـ] .

وـالـإـسـلـامـ : «ـهـوـ الـاسـتـسـلـامـ لـلـهـ بـالـتـوـحـيدـ وـالـانـقـيـادـ لـهـ بـالـطـاعـةـ ، وـالـبرـاءـةـ مـنـ الشـرـكـ وـأـهـلـهـ» هـذـاـ تـعـرـيفـ الـإـسـلـامـ .

وـأـسـلـمـ : مـعـناـهـ اـسـتـسـلـمـ ، فـهـوـ الـاسـتـسـلـامـ لـلـهـ - جـلـ وـعـلاـ - بـتـوـحـيدـهـ وـإـخـلـاصـ الـعـبـادـةـ لـهـ دـوـنـ سـوـاهـ ، فـمـنـ لـمـ يـسـتـسـلـمـ لـلـهـ فـهـوـ مـسـتـكـبـرـ وـمـنـ اـسـتـسـلـمـ لـلـهـ وـغـيرـهـ فـهـوـ مـشـرـكـ ، وـأـمـاـ مـنـ اـسـتـسـلـمـ لـلـهـ وـحـدـهـ فـهـوـ الـمـوـحـدـ ، وـهـذـاـ قـالـ : «ـهـوـ الـاسـتـسـلـامـ لـلـهـ بـالـتـوـحـيدـ» ، وـالـتـوـحـيدـ : هـوـ إـفـرـادـ الـلـهـ جـلـ وـعـلاـ بـالـعـبـادـةـ ، بـأـنـ يـجـعـلـ الـمـعـبـودـ وـاحـدـاـ بـدـلـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـعـبـودـ آـهـةـ مـتـفـرـقةـ يـكـوـنـ إـهـاـ وـاحـدـاـ وـهـوـ الـلـهـ ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَنَّهـاـ وـحـدـاـ لـلـهـ إِلـاـ هـوـ سـبـبـ حـكـمـهـ عـكـمـاـ يـشـرـكـوـنـ﴾ [التـوـبـةـ: ٣١ـ] ، وـقـالـ تـعـالـىـ : ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حَنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوَةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [الـبـيـنـةـ: ٥ـ] هـذـاـ هـوـ الـإـسـلـامـ

وهو الدين القيم، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذا هو الإسلام.

وأما قوله: «الانقياد له بالطاعة» : فيعني أنه مع التوحيد تنقاد لأوامر الله جل وعلا، فتفعلها وتترك ما نهى الله عنه وتحتنبه ، والطاعة تشمل فعل المأمورات وترك المنهيات فلا يكفي اعتقاد الوحدانية بدون العمل .

«والبراءة من الشرك وأهله» : فلا يكفي أن الإنسان لا يعبد إلا الله فلابد أن يتبرأ من الشرك وأهله ويعتقد بطلانه وكفر المشركين وأن يبغضهم ويعاديهم في الله - عز وجل - ، يجب عليك أن تعادي أعداء الله وأن تحب أولياء الله، فتحب ما يحبه الله ومن يحبه الله ، وتبغض ما يبغضه الله ومن يبغضه الله ، هذا معنى قوله «والبراءة من الشرك وأهله» كما تبرأ إبراهيم عليه السلام والذين معه من المشركين كما قال تعالى : ﴿فَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المتحنة: ٤] تبرأوا منهم ومن معبوداتهم، ﴿كَفَرُنَا بِكُمْ وَبِدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَاتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى : ﴿يَتَأْيِدُهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا تَتَّخِذُوا أَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْ لِيَاءَ إِنْ أَسْتَحْبُوا الْكُفَّارَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبه: ٢٣]، وقال تعالى : ﴿يَتَأْيِدُهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْ لِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١] هذا هو التوحيد الذي أمر الله عز وجل به وبموالاة أهله وأمر بالبراءة من

الشرك وأهله ؛ لأنَّه ينافق التوحيد .
والإسلام له نواقض ؛ فقد يدخل الإنسان الإسلام لكن يرتكب
أشياء تخرجه من الإسلام وهو يدرِّي أو لا يدرِّي ، فيجب على الإنسان
معرفة هذه النواقض .

وهذا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - خاف على نفسه من الشرك
مع أنه هو الذي كسر الأصنام وأوذى في الله مع هذا لم يأْمَنْ على نفسه
وقال : ﴿ وَاجْتَبَنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ رَبِّ إِنَّهُ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ
النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] لما رأى كثرة الشرك وكثرة المفتونين خشي على
نفسه ، والإنسان بشر والذين وقعوا في الشرك بشر ، والإنسان لا يزكي
نفسه ولا يأْمَنْ على دينه بل عليه الخوف على دينه أكثر مما يخاف على
نفسه وعلى ماله وعلى حرمته ﴿ وَاجْتَبَنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾
رَبِّ إِنَّهُ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

وهذا الموضوع - نواقض الإسلام - قد اهتم به العلماء قديماً وحديثاً،
وهو جدير بالاهتمام فألفووا فيه مؤلفات مستقلة وجعلوا له باباً في كتب
الفقه يسمونه (باب حكم المرتد) ، وذكروا في هذا الباب نواقض
الإسلام ، وحكم من وقع في شيء منها ، ذكروا أنواعاً كثيرة من
النواقض التي لا تخطر على بال الإنسان لكنهم - رحمة الله - أحصوها
وبيّنوها وبينوا حكم من وقع في شيء منها ، لأنَّ الدين هو أول
الضرورات الخمس التي تجُبُ الحفاظة عليها ، فيحافظ على الدين ويجب
أن يطبق الحكم على المرتدين الخارجين عن الإسلام قال ﷺ : « من

بدل دينه فاقتلوه^(١)، وقال ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلات : النفس بالنفس، والشيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » والشاهد قوله : « والتارك لدينه المفارق للجماعة »^(٢).

والثاني من الضرورات : النفس : وهذا شرع الله القصاص قال تعالى : ﴿ يَتَأْبَأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۚ ۝ ﴾ [البقرة: ١٧٨] إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَتَأْوِلُ الْأَلْبَابُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ﴾ [البقرة : ١٧٩] وأمر بحفظ الأنفس المؤمنة ، ولذا شرع القصاص لحفظ الأنفس من الاعتداء ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ۝ ﴾ لأن القصاص وإن كان قتلاً للجاني فإنه يسبب الحياة للناس لأنه يمنع القتل فيما من الناس على دمائهم ، فإذا علم القاتل أو علم من يريد القتل أنه سيقتل فإنه يكف عن القتل فینجي نفسه وينجي من هم بقتله، وبذلك تحزن الدماء وتحفظ.

الثالث من الضرورات الخمس : العقل : الله جل وعلا خلق هذا الإنسان وميّزه عن غيره من المخلوقات لأنه أعطاه العقل ليميز به بين النافع والضار والطيب والخبيث والكفر والإيمان ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي مَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۝ ﴾ [الإسراء : ٧٠]، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ﴾ [التين : ٤]، فالله

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)، والنسائي (٤٠٥٩)، والترمذى (١٤٥٨)، وأحمد في مسنده (١٨٧١) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبوداود (٤٣٥٢)، والترمذى (١٤٠٢)، والنسائي (٤٠١٦)، وابن ماجه (٢٥٣٤) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

جل وعلا ميّز الإنسان بهذا العقل فإذا جنى الإنسان على عقله بأن تعاطى شيئاً من المسكرات والمخدرات فإن الله أوجب إقامة الحد عليه بالجلد حفظاً للعقول لئلا يتلاعب بها .

الرابع من الضرورات الخمس: حفظ الأموال : لأن الناس لا بد لهم من المال الذي تقوم به مصالحهم ، المال عصب الحياة - كما يقولون - ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ أَلَّا قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُمْ قِيمًا ﴾ [النساء : ٥] فمن اعتدى على أموال الناس بالسرقة فإنها تقطع يده حتى يأمن الناس على أموالهم ، قال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُلُوْا أَيْدِيهِمَا جَزَاءً مِّمَّا كَسَبُوا نَكَلًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٨] ، فإذا قطعت يد واحدة حفظت أموال الناس ، ولذلك تجدون البلد التي تقام فيها الحدود آمنة مطمئنة على دينها وأنفسها وأموالها وأعراضها، بينما البلد التي لا تقام فيها الحدود تسودها الفوضى والاضطراب والخوف والبهيمية كما هو معلوم .

الخامس من الضرورات الخمس: حفظ الأنساب والأعراض ، وذلك بتحريم الزنا وإقامة الحد على الزاني بأن يجعل مائة إذا كان بكرأ ويترجم بالحجارة حتى يموت إذا كان ثيباً؛ لأجل حفظ الأنساب من الاختلاط، فإذا أقيم الحد على الزناة فإن الأنساب تحفظ ، وأما إذا عطل إقامة الحد على الزناة اختلطت الأنساب فلا يدرى هذا الشخص من هو ابنه لاختلاط الأنساب؛ لأن هذه المرأة يعتريها رجال كثير فلا يدرى من حملت ، ولذلك تضيع الأنساب التي جعلها الله مميزة بين الناس بأن يعرف هذا الشخص من هو، وتترتب على ذلك الأحكام الشرعية مثل المحرمية والميراث وغير ذلك من الأحكام الشرعية المترتبة على النسب وتعارف الناس فيما بينهم هذا يعرف أن هذا أبوه ، هذا أخوه، هذا

عمه، هذا حاله، فيحصل التواصل بين الناس، فهذا هو حفظ الأنساب.

وأما حفظ الأعراض فهو يحصل بإقامة حد القذف، فالذي يقذف الناس بالفاحشة فيقول : فلان زان ، فلان لوطي يجلد بعد أن يطالب إذا قذف أحداً بالفاحشة بأن يقيم أربعة شهود يشهدون على ما قال، وإنما فإنه يجلد وتسقط عدالته ويصبح فاسقاً ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَرْ يَأْتُوْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَنِيْنَ جَلَدَةً وَلَا تَنْقِبُوا لَهُمْ شَهَدَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيقُونَ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٤-٥] .

فهذه هي الضرورات الخمس التي أمر الله بحفظها ورتب العقوبات عليها وأوها حفظ الدين ، وحفظ الدين يكون بتجنب النواقض التي تنقض هذا الدين وتحصل بها الردة ، ويكون أيضاً بقتل المرتد.

والردة هي الرجوع ، فالمترد هو الذي يرجع عن دينه إما بقول أو باعتقاد أو بفعل أو بشك .

هذه أصول أنواع الردة : القول والاعتقاد والفعل والشك ، وينشأ عن هذه الأصول أنواع كثيرة من نواقض الإسلام ، وبعض الجهال أو المغرضين يستنكرون الكلام في بيان أسباب الردة عن الإسلام ويصفون من يتكلم في ذلك بأنه تكفيري ويحذرهم منه .

فالردة بالقول : كان يتكلم بلفظ الكفر والشرك غير مكره ، سواء كان جاداً أو هازلاً أو مازحاً ، فإذا تكلم بكلام الكفر فإنه يُحكم عليه بالردة إلا إذا كان مكرهاً قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [التوبه : ٧٤] ، وقال تعالى في الذين قالوا: مارأينا مثل

قرائنا هؤلاء أكذب السنّا وأرغم بطوناً وأجبن عند اللقاء يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوكُنَّا مُخْوِضُونَ وَنَلْعَبُ قُلْ أَيَّالَهُ وَأَيَّانِهِ وَرَسُولُهُ كُنُّتُمْ تَسْتَهِزُونَ ﴾ ﴿ لَا تَعْنَذِرُوا قَدْ كَفَرُتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبه : ٦٥-٦٦] ، فهم كفروا بعد إيمانهم بسبب أنهم قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغم بطوناً، وأكذب السنّا، وأجبن عند اللقاء . يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلما علموا أن الله أوحى إلى رسوله ﷺ بمقاتلتهم جاءوا يعتذرون ويقولون : إنما كنا نخوض ونلعب ، تحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، والرسول ﷺ لا يلتفت إليهم ولا يزيد عن أن يتلو هذه الآية : ﴿ قُلْ أَيَّالَهُ وَأَيَّانِهِ وَرَسُولُهُ كُنُّتُمْ تَسْتَهِزُونَ لَا تَعْنَذِرُوا قَدْ كَفَرُتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾^(١) فدل أن الذي يتلفظ بكلام الكفر غير مكره فإنه يكفر ولو زعم أنه يمزح ويلعب . وفي هذا رد على مرحلة العصر الذين يقولون لا يرتد من قال كلام الكفر حتى يعتقد بقلبه ما قاله لسانه .

وكذلك الذي يدعو غير الله ويستغيث بغير الله فيقول لأحد الأموات : يا فلان أغثني ، يا فلان أنقذني ، ينادي الموتى والمُقْبُرَين ، أو ينادي الشياطين والجح ، أو ينادي الغائبين ويستجدهم ، إذا دعا غير الله واستغاث بغير الله من الأموات والغائبين فإنه يكفر بذلك ، فمن

(١) أخرج هذه القصة ابن أبي حاتم (٤٠٠٤)، وابن جرير في تفسيره (١٩٥-١٩٦) خرجها من طرق موصولة ومرسلة يقوي بعضها بعضاً .

وحسّنها الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ٧٧) .

وانظر: تسع فوائد عظيمة ومهمة من هذه القصة ذكرها شيخنا العلامة الفوزان في كتابه «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد» (٢/١٩٠-١٩٢) .

تلفظ بالكفر كفر إلا أن يكون مكرهاً قال الله سبحانه : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْسِرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرَ أَفْعَلَتِهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

[النحل: ١٠٦] ، وقال تعالى : ﴿لَا يَتَعْجِزُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَشْقُوا مِنْهُ نُقْنَةً﴾ (٢)

[آل عمران: ٢٨] هذا هو المكره ، فإذا تلفظ الإنسان بكلمة الكفر وأجبر بأن يتلفظ بها أو يقتل أو يعذب فلا بأس بأن يقول ما يخلص به من الإكراه مع إطمئنان قلبه بالإيمان ، وقد رخص الله في أن يتكلّم بكلمة الكفر تخلصاً من الإكراه وقلبه مطمئن بالإيمان ، وإنما يتلفظ باللسان فقط ، أما القلب فلا أحد يستطيع أن يتصرف فيه إلا الله سبحانه وتعالى ، ﴿إِلَّا مَنْ أُكْسِرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ﴾ نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر رض كان المشركون يعذبونه ويكرهونه على أن يسب الرسول ﷺ فتلفظ بكلام فيه مسبة للرسول ﷺ يريده التخلص من الكفار ، ولم يكن في قلبه بغض لرسول الله ﷺ ، ولا كراهية للدين الإسلام بل هو مطمئن بالإيمان ، فلما قال مقالته جاء نادماً إلى الرسول ﷺ وذكر له ما وقع . قال : «كيف تجد قلبك؟» قال : أجده مطمئناً بالإيمان قال : «إن عادوا فعد» (٣) .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٦/١٤)، وابن أبي حاتم كما في الدر المثمر (١٧١-١٧٠/٥)، وخرجه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٢٧/١٢) عند البهقي وابن المنذر، والفاكهني، وعبد بن حميد من طرق مرسلة ثم قال : «وهذه المراسيل تقوي بعضها ببعضاً» .

والكفر بالاعتقاد : هو أن يعتقد الإنسان بقلبه ما ينافق الإسلام، كان يعتقد أن الصلاة غير واجبة وليس لها قيمة وإنما هي من باب المجاراة مثل ما عليه المنافقون ، فيأتي بالأعمال في الظاهر ولكنه من قلبه لا يؤمن بها وإنما يتظاهر بها ويتكلم بالشهادتين وقلبه كافر ، قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَفِّقُونَ قَالُوا نَشَهِدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ لَكَذِبُوكَ﴾ [المنافقون : ١-٢] أي سترة يتسترون بها ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقال تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِالسِّتِّيمِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح : ١١] ، فإذا اعتقاد بقلبه الكفر صار كافراً ولو لم يفعل أو يتكلم، ولو كان بظاهره يفعل الأعمال الطيبة من صلاة وجهاد وصدقة أو يقول الكلام الطيب بأن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولكنه بقلبه يكذب بذلك فهذا كافر وهذا دين ﴿الْمُنَفِّقِينَ﴾ الذين هم : ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مع كونهم يصلون ويصومون ويعادون لكن لما كانوا بقلوبهم كافرين صاروا : ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء : ١٤٥] ؛ لأنهم لا يعتقدون بقلوبهم ما تنطق به ألسنتهم أو ما تفعله جوارحهم من الأعمال المشروعة .

والكفر بالفعل : كان يذبح لغير الله ، فإذا ذبح لغير الله خرج عن دين الإسلام وارتدى ، لأنه عبد غير الله - لأن الذبح عبادة ، فإذا ذبح شيء يعظمه كالصنم والقبر وغير ذلك من معبدات المشركين ولو لم يتكلم ، بل إذا ذبح للصنم أو سجد للصنم أو القبر الذي هو من أوثان المشركين اليوم ، فإذا ذبح أو سجد للقبور صار مشركاً ولو كان يصلى

ويصوم ويحج ويقرأ القرآن فإنه نقض دينه بهذا الفعل الشركي والعياذ بالله .

وأما الكفر بالشك : فالشك هو: التردد ، فإذا شك في قلبه هل ما جاء به الرسول ﷺ صحيح أو غير صحيح؟ هل هناك بعث أولاً؟ هل هناك جنة ونار أو لا؟ فهذا يكفر بشكه ولو كان يصلّي ويصوم ويصلّي ما يعمل فإذا لم يكن جازماً بالإيمان وكان لديه شك وتردد بصحة ما جاءت به الرسل ويقول: يمكن أن يكون هذا صحيحاً أو ليس ب صحيح، فهذا يكون مرتدًا عن الإسلام ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من غير اعتقاد لمعناها، ولكن نحن ما لنا إلا الظواهر وأما ما في القلوب من اليقين والشك ومن الإيمان والكفر فهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

فهذه أصول الردة :

١ - قول الكفر والشرك ، من غير إكراه.

٢ - أو اعتقاد الكفر والشرك

٣ - أو فعل الكفر والشرك .

٤ - أو الشك في الدين وما جاء به الرسول ﷺ .

فهذه أمور يجب على المسلمين عموماً ، وعلى طلبة العلم خصوصاً أن يعتنوا بها لكثره الفتنة والشروع في هذه الأيام ، ولكثره الشبهات ودعاه السوء والضلال ، فعلى المسلم أن يهتم بهذا الأمر لئلا يخرج من دينه بشيء منها .

والناس في هذه النواقص ثلاثة أقسام : طرفان ووسط :

الطرف الأول : الذين يغالون في التكفير والحكم على الناس بالكفر، ويُكفرون الناس من غير رؤية أو فقه أو معرفة ، وهذا مبدأ الخوارج الذين خرجوا في عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين وفي العهود المتأخرة يُكفرون المسلمين ويغالون في الكفر، فكل من خالفهم كفروه واستحلوا دمه ، فالخوارج عندهم ثلاثة مبادئ :

المبدأ الأول : تكfir الناس بالذنوب الكبائر التي دون الشرك.

المبدأ الثاني : الخروج على ولاة أمور المسلمين وشق عصا الطاعة .

المبدأ الثالث: إستحلال دماء المسلمين.

وهذا سببه أخذ النصوص التي تدل بظاهرها على الكفر أو على الشرك أخذوها على ظاهرها دون أن يجمعوا بينها وبين النصوص الأخرى التي تفسرها وتوضّحها ، فإن الكفر ينقسم إلى قسمين : كفر أكبر، وكفر أصغر.

والشرك ينقسم إلى قسمين :

شرك أكبر وشرك أصغر .

الشرك الأكبر والكفر الأكبر : يخرجان من الدين وينقضان الإسلام .

والشرك الأصغر والكفر الأصغر : لا يخرجان من الدين لكنهما ينقضان الإسلام والإيمان.

فهم - أي الخوارج - لا يفرقون بين هذا وذاك ، وليس عندهم كفر أصغر ولا شرك أصغر، وإنما الكفر والشرك عندهم شيء واحد وهو الخروج من الدين ، وأخذوا بظواهر النصوص وتركوا النصوص

الأخرى التي تفصل هذه الأمور وتقسمها إلى قسمين ؛ لعدم فهمهم وعدم معرفتهم بالدين وعدم تمكّنهم من العلم، فصاروا يكفرون الناس ويبالغون في التكفير من غير فقه ولا رؤية ويطبقون النصوص على غير محلها؛ لأنهم ليس عندهم فقه ، فهم مجرد قراء يقرؤون اللفظ ولا يفهمون المعنى ثم يطبقونه على الناس .

فهو لاء هم الخوارج وهم ورثة الأئم - مع الأسف - من يكفرون الناس ويغالون في التكفير ويستحلون الدماء بحججة أن هؤلاء كفار، فلهم ورثة الأئم من شبابنا ومن جهالنا ومن متعالمنا.

الطرف الثاني : المرجئة الذين يقولون الإيمان بالقلب ولم يدخلوا فيه العمل وبعضهم يقول : لا يدخل فيه القول وإنما هو الإيمان بالقلب وأما العمل فلا يدخل ، فلو عمل ما فإنه لا يكفر ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة، هذا مبدؤهم ، وأخذوا بنصوص الوعيد التي فيها وعد الله بالمغفرة والرحمة ولم يجمعوا بينها وبين نصوص التحذير من الكفر والشرك والذنوب والمعاصي، فهم أخذوا بنصوص الوعيد واعتمدوا على الرجاء فقط، وأولئك الخوارج أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعيد والرحمة والرجاء، فأخذوا بجانب الخوف واشتد بهم الخوف، وغلبوا جانب التكفير على الناس واستحلوا دماءهم وأموالهم بهذا المذهب الفاسد .

الطرف الثالث : أهل السنة والجماعة وهم وسط بين المذهبين مذهب المرجئة ومذهب الخوارج ، فيجمعون بين النصوص ويقولون : إن الكفر في القرآن والسنة ينقسمان إلى قسمين، كفر أكبر وكفر أصغر،

وشرك أكبر وشرك أصغر والذنوب التي دون الشرك لا يكفر صاحبها.
فالشرك الأكبر والكفر الأكبر يخرجان من الملة ، والشرك الأصغر والكفر الأصغر لا يخرجان من الملة خلافاً للخوارج ولكنهما ينقصان الإيمان خلافاً للمرجئة، فهم في طرف نقيض؛ وأهل السنة والجماعة - والله الحمد - وسط ، جعوا بين نصوص الوعيد ونصوص الوعد، وجعلوا بين الخوف والرجاء، فلم يأخذوا الرجاء فقط كما أخذته المرجئة، ولم يأخذوا الخوف فقط كما أخذته الخوارج .

فمن عبد الله بالخوف فقط فهو خارجي، ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجع، ومن عبد الله بالحب فقط فهو صوفي، ومن عبد الله بالخوف والرجاء والحب والرغبة والرهبة فهو موحد سني ، فهذا هو التفصيل في هذه المسألة العظيمة .

فمعرفة هذه النواقص لها أهمية كبرى حتى يكون الإنسان على بصيرة، ولا يكون مع الخوارج ، ولا يكون مع المرجئة، وإنما يكون مع أهل السنة والجماعة الذين جعوا بين النصوص عملاً بقوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ مَا يَدْعُوكُمْ تُخَكِّمُونَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَبِّهُتُمْ فَامَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران : ٧] الذين في قلوبهم زيغ منهم الخوارج والمرجئة ، الخوارج أخذوا بالتشابه والمرجئة أخذوا بالتشابه ولم يردوا التشابه إلى المحكم؛ لأن القرآن يفسر بعضه ببعض، ويبيّن بعضه ببعض، وأما أهل السنة الراسخون في العلم فأخذوا بالأمرتين؛ ردوا التشابه إلى المحكم وفسروا التشابه بالمحكم ، فاهتدوا إلى الحق ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِمَّا يَهُوَ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ المحكم والتشابه، وكلام الله لا يتناقض، وكلام رسول الله ﷺ لا يتناقض، فجمعوا بين هذا وهذا، وفسروا هذا

بهذا، وقيّدوا هذا بهذا، هذه طريقة الراسخين في العلم، وأما أهل الضلال فهم يقولون بطرف وهو المتشابه.

فالتشابه من آيات الوعيد أخذ به الخوارج ، والمشابه من آيات الوعيد أخذ به المرجئة، وضلوا عن سوء السبيل، فالخوف على المسلمين من ناحيتين :

الناحية الأولى : الجهل بهذه الأمور وعدم تعلمها ، وعدم التمييز بين الحق والباطل.

والناحية الثانية : القول على الله بغير علم، فإن كثيراً من المتعاملين اليوم تجرأوا على مسائل كبار عظيمة من مسائل العقيدة ، وصاروا يتكلمون فيها ويفتون ويحكمون على الناس بجهل وضلال - والعياذ بالله - .

فالواجب على المسلم أن يسلك طريق أهل الحق ولكن هذا لا يمكن إلا بالتعلم والتفقه في دين الله، فلا يكفي حفظ النصوص؛ لأن بعضهم يحفظ صحيح البخاري ومسلم والسنن ولكنه لا يفقه معناها ولا يدرى ما تفسيرها بل يفسرها من عنده ، أو يتلقى تفسيرها من أهل الضلال من الخوارج أو المرجئة وهذا هو الخطير، فليس العلم بالحفظ فقط، وإنما العلم بالحفظ مع الفقه ومعرفة المعاني ، والحفظ لا يحصل إلا بالتعلم وتلقي العلم عن العلماء ومدارسته معهم، هذا هو العلم الصحيح والفقه الصحيح ، فيجب علينا أن نهتم بهذا الأمر اهتماماً بالغاً عظيماً، لئلا نقع فيما وقعت فيه هذه الطوائف الضالة التي أصبح شغلها الشاغل الآن التناحر والتراشق بالكلام والتضليل والتبديع والتفسيق من غير بصيرة ومن غير علم ولا فقه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فهذا جانب عظيم يجب علينا أن نتهتم به وأن نتبناه له ، وألا نقتصر على المطالعة في الكتب أو حفظ المتن والنصوص بدون فقه لمعانيها وتبصر لأحكامها وتفاصيلها على أيدي العلماء، والخوارج ما ضلوا إلا بهذه الطريقة وهي الحفظ بدون فهم ، وهذا يقول الإمام ابن القيم فيهم:

وَهُمْ نَصْوَصُونَ قَصْرُوا فِي فَهْمِهَا

فَأَتَوْا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ

عندهم نصوص وعندهم حفظ، يقرأون القرآن الليل والنهار ويصلون الليل كله ويصومون الدهر ولكن ما عندهم من الفقه ميزان حبة خردل ، ولذلك وقعوا فيما وقعوا فيه، فالفقه أمره عظيم ، والفقه هو فهم النصوص ، لا بد أن تعرف مركبات الدواء أولاً ، ثم تعرف العلة التي في المريض وتعطيه من الدواء ما يناسبها، فإذا وافق الدواء الداء نفع بإذن الله، وإذا لم يوافق الداء الدواء ضر ، فالعالم بمنزلة الطبيب مع المرضى لابد من أمرتين أن يعرف الدواء ، ومواقع الدواء ، ويعطي كل مريض ما يناسبه من الدواء ، وهذا تمثيل صحيح إذا تأملته ولكن هذا يحتاج إلى فقه وبصيرة ، إخواننا الآن يرون أنهم هم أفهم من العلماء؛ لهذا وقعوا فيما وقعوا فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه طريقة الخوارج ، فالخوارج كفروا الصحابة - رضي الله عنهم - ورأوا أن الصحابة ليسوا على حق وأنهم لا يفهمون ، وأنهم لا يغافرون الله تعالى .

قال ابن القيم - رحمه الله -

وَالْجَهْلُ دَاءُ قَاتِلٍ وَشَفَاؤُهُ

أَمْرَانٌ فِي التَّرْكِيبِ مُتَفَقَّانِ

نص من القرآن أو من سنة

وطيب ذاك العالم الرباني

إن الخطر اليوم عظيم جداً ، نقول: الحمد لله ، الشباب عندهم إقبال على الدين ، وعندهم صحوة كما يقولون ^(١) ، ولكن إن لم ترشد هذه الصحوة وهذا الإقبال صار ذلك ضلالاً ، فلابد من ترشيدها وتصححها وتثقيفها بدين الله حتى تكون صحوة على بصيرة وعلى علم وفقه ، وإلا فإن هذه الصحوة ستضر المسلمين إن لم يتبعوا لها ويرشدوا شبابهم وإخوانهم في دين الله .

والحمد لله ، وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين .



الأشائة:

سؤال : هل هناك فرق بين نواقض الإسلام ونواقض الإيمان ؟

جواب : لا فرق بينهما ، نواقض الإسلام الصحيح هي نواقض الإيمان
لكن قد يكون الإنسان مسلماً بلسانه فقط وهو المناقق كما قال تعالى
فيهم : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَّارِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ وَقَالَ فِي
المؤمنين : ﴿ لَا تَعْنِذِرُوا قَدْ كَفَرُتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ .

سؤال : هل يعنـوـنـ منـ جـهـلـ هـذـهـ النـوـاقـضـ ؟

جواب : الجهل يختلف ، إذا كان الجاهل لا يمكنه أن يتعلم فإنه يعذر

(١) انظر تعليق شيخنا على مصطلح الصحة الإسلامية في كتاب الإجابات المهمة في المشاكل، الملة ١/١٩٤

حتى يجد من يعلمه كالذى يعيش في بلاد منقطعة عن بلاد المسلمين، ما فيها إلا كفار ، فهذا يعذر بالجهل، وأما الذى يعيش بين المسلمين وفي بلاد المسلمين ويسمع القرآن ويسمع الأحاديث وكلام أهل العلم فهذا لا يعذر بالجهل لأنه بلغته الحجة ولكن لم يهتم بها بل قد يقول : هذا دين الوهابية، أو دين أهل نجد، أو دين فلان أو فلان ، كما يقولون عن التوحيد إنه دين ابن عبدالوهاب مع أنه دين الرسول ﷺ وابن عبدالوهاب لم يأت بشيء وإنما دعا إلى دين الرسول ﷺ ، ونسبوا الدين إليه وقالوا : هذا دين الوهابية ، هذا دين ابن عبدالوهاب ، أو يقولون هذا دين الخوارج، يسمون الموحدين خوارج ، أهؤلاء يعذرون بالجهل؟ هؤلاء مكابرلن لا يعذرون بالجهل .

سؤال : من فعل ناقضاً من نوافع الإسلام ثم قاب بعد ذلك هل له توبية ؟

جواب : نعم ، إذا تاب الله عليه، الله يقبل التوبة من جميع المذنبين ، من المرتدین وغيرهم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ لَفَّارُ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى ﴾ [طه: ٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ أَذْنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنَّ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ [آل عمران: ٩٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ، فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧] يعني من ارتد ولم يتبع حتى مات فهذا ازداد كفراً ، بكونه استمر على الكفر ، وأما لو تاب قبل الموت فيتوب الله عليه، فقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ، فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧] دل على أنه لو مات مسلماً

وتائياً فالله يتوب عليه ، لأن الله يقبل التوبة من المرتد ومن غيره إذا تاب إلى الله عز وجل .

سؤال : هل يدخل الشك في الاعتقاد ؟

جواب : هناك فرق بين الشك والاعتقاد ، الاعتقاد ليس فيه تردد ، والشك فيه تردد .

سؤال : أورد العلماء - رحمهم الله - أكثر من هذه النوافع العشرة ، فلماذا خصص شيخ الإسلام هذه العشرة ؟

جواب : الشيخ ذكر أهمها ولم يقل: إنه لا نوافع غير هذه ، بل قال هي أهم ما فيها ، وإنما فالنوافع كثيرة .

سؤال : هل هناك فرق بين الكفر والشرك ؟

جواب : نعم ، الكفر أعم من الشرك ، لأن الكافر قد يكون جاحداً للرب سبحانه وتعالى ، لا يؤمن برب ، مثل فرعون والمعطلة والدهرية ، وأما المشرك فإنه يؤمن بالرب ولكنه يشرك معه غيره ، وبين الكفر والشرك عموماً وخصوصاً .

سؤال : ما أهمية معرفة مواطن التكفير ؟ وما أفضل كتاب في هذا الموضوع ؟

جواب : على الإنسان أن يعرف المكريات فإذا عرفها فإنه يمتنع عن التكثير بغيرها ، وأفضل كتاب في هذا هذه الرسالة التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي نحن بصدده شرحها ؛ لأنها رسالة مختصرة جامعية ، وهناك أبواب في كتب الفقه من كل مذهب مخصصة لبيان النوافع .

سؤال : ما الحكم في نقل الكفر على سبيل التندر؟

جواب : لا يجوز ذكر الكفر على سبيل التندر ، وأما على سبيل النقل فناقل الكفر ليس بكافر وحاكي الكفر لا يكفر، وأما إذا نقله على سبيل التندر والضحك فهذا أمر خطير فقد كفر الله الذين تكلموا على وجه المزح واللعل كما سبق .

سؤال : هل من ارتكب ناقضاً من نوافع الإسلام يكفره كل من رأه وعلم به ، أم لا يكفره إلا العلماء؟

جواب : من ارتكب ناقضاً من نوافع الإسلام فينبغي أن يتثبت من أمره ، فربما يكون جاهلاً يعذر بالجهل ، وربما يكون مكرهاً ، وربما يكون له عذر ، فإذا تبين أن ليس له عذر أو ليس بجهل فإنه يحكم عليه بما صدر منه .

سؤال: ما حد الإكراه الذي لا يكون من وقع فيه مرقداً؟ وهل هناك أنواع للإكراه؟

جواب: الإكراه مختلف باختلاف الأحوال قد يكون إكراهاً في شيء ولا يكون إكراهاً في شيء آخر ، فالإكراه مختلف باختلاف موقعه، ولكن الإكراه الذي يعذر به هو الذي لا يمكن التخلص منه ولا يمكن السلامة من القتل أو من الضرب أو من التهديد إلا بالتلفظ بما يطلب منه ، كتلفظه بكلمة الكفر مثلاً ، إذا كان لا يمكنه أن يتخلص من بطش الظالم إلا أن يتلفظ به بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] .

سؤال : يقول العلماء : لا يُكفر المعين إذا وقع في الكفر إلا إذا وُجِدت الشروط وانتفت المواتع وأقيمت الحجة عليه؟ فهل هذا صحيح؟

جواب : نعم هذا صحيح، ولكن قيام الحجة يحصل ببلوغ القرآن إليه على وجه يفهمه لو أراد الفهم .

سؤال : فسمع في هذا العصر دعوى العلمانية وهي فصل الدين عن الدولة فهل أصحاب هؤلاء مرتدون ؟

جواب : لا شك أن أصحاب المذاهب المعاصرة الإلحادية مرتدون مثل : العلمانية ، والحداثية ، والقومية ، والشيوعية لأنها مخالفة للإسلام.

سؤال : إذا قال شخص لأخر : أنت تعلم الغيب . من باب المزاح فهل قوله هذا ردة ؟ وهل يحكم عليه بالردة ؟

جواب : إذا كان قصد المزح أو أنه يقصد بذلك أنك صاحب فطنة هذا لا يضر وليس بردة، لأنه لا يعتقد أنه يعلم الغيب ، ولكن إذا اعتقد أنه يعلم الغيب صار مرتدأً .

سؤال : من سب دين الله أو عمل عملاً مكفراً عند الغضب الشديد فهل يكفر ؟

جواب : إذا بلغ الإنسان الغضب الذي يخرجه عن الشعور فإنه لا يؤخذ ؛ لأنه أصبح مثل الجنون ، وأما إذا كان غضبه لا يصل إلى حد زوال الإدراك فإنه يؤخذ ، فإذا طلق زوجته أو تكلم بالكفر أو الشرك في هذه يحكم عليه بما تكلم به ، إذا كان يدرى ويعقل ما يقول .

سؤال: من تكلم بكلمة الكفر ثم تاب من حينه فهل عليه أن يغتسل ؟

جواب : ليس عليه أن يغتسل ، إذا تاب إلى الله واستغفر وتاب توبة صحيحة ليس عليه اغتسال ، لكن الكافر الأصلي إذا تاب ، فبعض

العلماء يرى أنه يغتسل ؛ ولكن الجمهوّر أنه إذا أسلم الكافر الأصلي لا يؤمر بالاغتسال لأنّه أسلم أناس كثير على عهد النبي ﷺ ولم يأمرهم بالاغتسال. وبعضهم يقول : إن الردة تنقض الوضوء ، هذا بناء على أن أعمال المرتد تبطل ولو تاب ، فإذا تاب يبدأ من جديد، هذا قول بعض العلماء.

والقول الثاني : أن أعماله الصالحة بعد التوبة من الردة ترجع إليه ولا تبطل ، فيبقى وضوئه وحجه وعمله الصالح وترجع إليه، وهذا هو الصحيح ؛ لأن الله قال : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمْسِطْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ فدل على أنه إذا لم يمت وهو كافر بل تاب أن أعماله السابقة لا تحبط .



الدرس الثاني في شرح الناقد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - : « اعلم أن نوافع الإسلام عشرة نوافع : الأولى : الشرك في عبادة الله تعالى قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وقال : ﴿ إِنَّمَا مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَنْوَهَ أَنَّارٌ وَمَا لِلْظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] ومنه التبعة لغير الله كمن ينبع للجن أو للقبر، وأشهرها الشرك في عبادة الله .

الشرح.

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

فإنه يجب على المسلم أن يخاف على دينه أكثر مما يخاف على نفسه وعلى ماله، لماذا يخاف على دينه ؟

يخاف على دينه من الفتن والشبهات كما قال النبي ﷺ : « إنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويسمى مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا »^(١) . فال المسلم ما دام على قيد الحياة فإنه معرض للفتن، ومعرض للردة عن دين الإسلام وهذا إمام الحنفاء الخليل إبراهيم عليه السلام يدعو ربه فيقول : ﴿ وَاجْتَبَنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾  *أَرَتِ إِنَّمَا أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ* ﴿

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٦)، والترمذى (٢١٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[النحل: ٣٥-٣٦] فهذا الخليل الذي كسر الأصنام بيده، وأوذى في سبيل ذلك وألقى في النار يخاف على نفسه أن يرتد عن التوحيد ويعبد الأصنام؛ لأن الذين عبدوها نوع من البشر وعندهم عقول وإدراك، ولم تفعهم عقولهم وإدراكاتهم وتنعهم من أن يعبدوا الأصنام، فإذاً إبراهيم عليه السلام لما رأى كثرة من وقعا وفتنا بعبادة الأصنام خاف على نفسه فدعا ربها أن يثبته على دين التوحيد، وألا يزيف قلبه كما زاغ هؤلاء، فإنه بشر مثلهم والبشر لا تؤمن عليه الفتنة ، وهذا كان نبينا محمدًا ﷺ وهو أكمل الناس إيماناً وأكملهم توحيداً يخاف على نفسه فيدعوه ويقول : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فتقول له عائشة أم المؤمنين : تخاف على نفسك؟ فيقول الرسول ﷺ : «يا عائشة، وما يؤمني وقلوب العباد بين أصابع من أصابع الرحمن؟»^(١) . وهذا فإن الخليلين إبراهيم ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم خافا على دينهما فلرجا إلى الله بأن يهديهما مما وقع فيه الأكثر من الخلق .

ومن حاله دونهما أولى بذلك، فليخف المسلم على دينه وعلى نفسه من شر دعاء السوء ومن الشبهات والفتنة، فتنة الشهوة وفتنة الشبهة، فليخف من كل ذلك ، وإذا خاف فإنه يأخذ بأسباب السلامة ويتجنب أسباب ال�لاك، أما أنه يخاف ولا يأخذ بأسباب السلامة ولا يتجنب

(١) أخرجه أحمد (٤٦٤)، والأجري في الشريعة (٧٣٣)، والنمساني في الكبرى (٧٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٤٠٢) وصححه الألباني رحمه الله ، وقد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة في دعاء النبي ﷺ وفي كون القلوب بين أصابع الرحمن . انظر جملة من أحاديثهم في الشريعة للأجري والسنة لابن أبي عاصم (١٧٣/١) وكذا في التوحيد لابن خزيمة (١٨٧/١) باب إثبات الأصابع لله عز وجل .

أسباب الهلاك فالخوف لا يكفي فلابد أن يكون مع الخوف عمل يقيه من هذه الفتنة ، فهذا أمر خطير ولا يمكن أن تعرف هذه النواقض والشبهات والأفكار المنحرفة إلا بالعلم النافع ، لأن الجاهل يقع في هذه الأمور وهو لا يدرى ، بل يقلد الناس ومن يحسن بهم الظن فيفعل مثل فعلهم، وأما العالم الرباني فإنه ينفعه علمه بإذن الله ويتتجنب هذه الأمور، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف، فيتعلم الإنسان العلم النافع لا سيما علم العقيدة فيعرف العقيدة الصحيحة من أجل أن يتمسك بها ويعرف نواقض العقيدة ومفسداتها حتى يتتجنبها كما قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني «^(١)». هذا هو الفقه، لأنه ما زكي نفسه ؛ فقال : مخافة أن يدركني .

ونحن الآن في خضم فتن عظيمة ، وشبهات مضللة ، ودعاة سوء وأشياء كثيرة لا تخفاكم، فيجب على الإنسان أن يعتني بأمر دينه ويخاف عليه .

وجد من يقول : لماذا تتعلمون التوحيد وتحذرون من الشرك ؟ وأنتم أولاد عقيدة وأصحاب فطرة ، وأنتم في بلاد التوحيد، فلا تحتاجون أنكم تدرسون التوحيد وتعرفون أنواع الشرك ، ولا أن تشغلو المنهج الدراسية بكتب العقيدة وتعلموا الأولاد هذه الأشياء ، لستم بحاجة إلى أن تعرفوا الشبهات والمذاهب المنحرفة وضلالاتها، فلستم بحاجة إلى هذا !!

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

فهذا غرور وجهل أو تضليل ، فالواجب على الإنسان أن يعرف هذه الأمور من أجل يسلم من شرها وفتتها ، ولا يمكن أن تتجنب الشيء وأنت لا تعرفه، ولا يمكن أن تتمسك بالحق وأنت لا تعرفه، فقد تعتقد الحق باطلًا والباطل حقيقة وأنت لا تدرى، فهذا أمر مهم جداً.

ويقولون : أنتم تكفرون الناس ! لماذا تظهرون بهذه الأشياء ؟
فنقول : نحن لا نكفر الناس إلا من كفره اللهُ ورسوله ﷺ ، ولكننا نخاف على أنفسنا ولا نزكي أنفسنا ، فنأخذ بأسباب النجاة ، ونحذر الناس وننصحهم .

ونحن أيضاً نتعلم هذه الأمور من أجل أن نبيّن للناس أمرها وندعو إلى الله على بصيرة حتى نسلم ويسّلم الله بنا من شاء من عباده ، فالحقيقة إن الأمر خطير جداً .

ونوافض الإسلام - كما سبق - هي مفسداته ومبطلاته، فمن أسلم وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد ينقض إسلامه وتوحيده بنافق من هذه النوافض وهو يدرى أو لا يدرى ، فيكون مرتدًا وفي عداد الكافرين .

ونوافض الإسلام كثيرة أو صلها بعضهم إلى أربعينات، ولكن أهمها وأخطرها هذه العشرة التي ذكرها الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله نصيحة للأمة وخوفاً على الأمة من الوقع فيها، فهو إنما كتبها وأظهرها نصيحة للأمة وخوفاً عليها وإشفاقاً عليها، لا أنه يكفر المسلمين كما يقول أعداؤه وخصومه وإنما ينصح المسلمين ويذكرهم ويعلّمهم لأجل أن يتبنّواها ويبتعدوا عنها .

الناقض الأول وهو أخطر النواقض وأشدّها الشرك في عبادة الله - عز وجل - .

والعبادة : مأخذة من التعبد والتذلل والخضوع الاختياري، والتقرب إلى الله بما شرعه، هذه هي العبادة .

وبعض العلماء يعرفها بأنها غاية الحب لله عز وجل مع غاية الذل له^(١)، هذا تعريفها المجمل .

وأما تعريفها المفصل فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة^(٢) .

هذه هي العبادة بمعناها الشامل: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة فهي ظاهرة على اللسان والجوارح، وباطنة في القلوب فهي التقرب إلى الله بما شرعه .

وأنواعها كثيرة مذكورة في الكتاب والسنة.

وقولنا : « هي التذلل والخضوع الاختياري » يخرج بذلك الذل والخضوع اضطراري، فكل الناس عباد لله المؤمن والكافر بمعنى أنهم خاضعون منقادون لأقدار الله النافذة فيهم، هم عباد الله يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا أحد يخرج عن قضاء الله وقدره قال تعالى : ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَاقِلَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] هذه هي العبودية العامة وهي ليست اختيارية وإنما هي اضطرارية ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا آتَسْلَمَ مَنْ فِي

(١) انظر : جموع الفتاوى (١٠/١٥٣) .

(٢) جموع الفتاوى (١٠/١٤٩) .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوَّعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَمُونَ ﴿٨٣﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقولنا : « وهي التقرب إليه بما شرعه » يخرج التقرب إليه بما لم يشرعه من البدع والمحديثات ، فلا بد أن يكون التقرب إلى الله بما شرعه الله لعباده وعلى لسان رسوله ﷺ ، أما أن يحدث الإنسان عبادة من عنده أو من عند شيخه أو من عند فلان أو علان غير رسول الله ﷺ فهي عبادة مبتداعة باطلة ومردودة ، كما قال ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »^(١) ، وقال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(٢) . وقال ﷺ : « ولماكم ومحديثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله وكل ضلاله في النار »^(٣) ، هذا هو تعريف العبادة .

وأما الشرك فهو : صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل .
قلنا : إن العبادة أنواع كثيرة تؤخذ من الكتاب والسنة فلو صرف شيئاً من أنواع هذه العبادة لغير الله فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة ، فمن ذبح لغير الله أو نذر لغير الله أو سجد لغير الله ، أو دعا غير الله من الأموات والغائبين ، أو استغاث بالأموات ، أو غير ذلك فهذا قد أشرك بالله عز وجل؛ لأن العبادات كلها بجميع أنواعها لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَغْبَدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] ،

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨/١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وقال

الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

والعبادة لا تصح إلا بشرطين :

الشرط الأول : الإخلاص لله عز وجل بأن تكون سالمة من الشرك، فإن كان فيها شرك فإنها لا تقبل، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُرْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشَرَّكُوا لَهُبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨].

الشرط الثاني : أن تكون موافقة لسنة الرسول ﷺ فلا يكون فيها ابتداع ولا حداث لقوله ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أي مردود عليه . فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك آياً كان هذا المتصروف له، سواءً كان صنماً أو حمراً أو شجراً أو جناً أو إنساً أو حياً أو ميتاً فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك بالله عز وجل ، والشرك هو أعظم الذنوب، لذا ذكر في أول المحرمات، قال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتَلْ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَنَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَنَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]، ﴿ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] فلا يجوز أن يتخلص مع الله سواء في العبادة ، لأن العبادة حق خالص لله عز وجل لا يستحقها أحد غير الله عز وجل.

هناك من يفسر الشرك بأنه عبادة الأصنام فقط ، وأما عبادة الأولياء والصالحين والأضرحة فليست بشرك عنده وإنما هي توسل وطلب للشفاعة وما أشبه ذلك ، والشرك عندهم فقط عبادة الأصنام.

فنقول : إن عبادة الأصنام نوع من أنواع الشرك ، والشرك هو دعوة

غير الله سواء كان صنماً أو غيره ، والمشركون متنوعون في معبداتهم فما اقتصروا على عبادة الأصنام، منهم من يعبد الأصنام، ومنهم يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الشياطين ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد المسيح وعزيرًا، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ، فهم متفرقون في عباداتهم ولم يقتصروا على عبادة الأصنام وإنما الأصنام نوع من أنواع المعبدات.

وبعضهم يقول : الشرك أن تعتقد أن أحداً يخلق مع الله أو يرزق مع الله أو يدبّر مع الله، فإذا كنت تعتقد أن أحداً لا يرزق مع الله ولا يخلق ولا ينفع ولا يضر فأنت موحد، وتقول له هذا لم يقله المشركون الأولون وهذا هو توحيد الربوبية وهم لا يشركون في الربوبية، فما كانوا يعتقدون أن أصنامهم تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت أو تدبّر، وإنما يتخدونها وسائط بينهم وبين الله، قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضِرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] ما قالوا : هؤلاء يخلقون ويرزقون بل قالوا يشفعون لنا عند الله، يتسطون عند الله ، فهذا القول قول باطل، وهو حصر للشرك في توحيد الربوبية، بل الشرك القبيح هو الشرك في الألوهية وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل ، هذا هو الشرك الذي حذر الله منه وأرسل الرسل لإنكاره وشرع الجihad لإزالته، أما الشرك في الربوبية فلا يكاد يوجد في البشرية أن أحداً يعتقد أن الأصنام تخلق وتدبّر وترزق وإنما يقولون هذه وسائل وشعفاء لنا عند الله ، فهذا التفسير للشرك تفسير باطل.

ومن الناس من يفسر الشرك أنه شرك الحاكمة ويفعلون ما عداه، ويقولون : التوحيد هو توحيد الحاكمة والشرك هو شرك الحاكمة.

ونقول : هذا نوع من أنواع الشرك؛ لأن التشريع حق لله عز وجل والحكم بما أنزل الله عبادة ، لكن ليس الشرك مخصوصاً في هذا النوع ، بل الشرك عام في الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة، أما أن يحصر في نوع معين ويقال : هذا هو الشرك فهذا غلط وتضليل ، فلا يجوز أن يدخل هذا في عقل طالب العلم إلا لأناس لهم أغراض من وراء ذلك ، فلو حكم بالشريعة وهو يدعو غير الله فهو مشرك.

فالحاصل أنه لابد أن نعرف ما هو الشرك لأنهم يفسرونها بغير تفسيره، وإذا تدبرت القرآن تجد أن الشرك هو عبادة غير الله قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سبأ : ٢٢] هذا شرك في الدعاء، وكذلك الذبح لغير الله قال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ ﴾ [الكوثر : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك له ويدل ذلك أيمت [الأنعام : ١٦٣-١٦٢] فالذبح والصلاحة لغير الله شرك والشرك أنواع كثيرة .

وضابطه : أن من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك.

والشرك نوعان :

النوع الأول : شرك أكبر .

النوع الثاني : شرك أصغر .

الشرك الأكبر : هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كما سبق.

وهذا النوع يخرج صاحبه من الملة، ويحرم على صاحبه دخول الجنة ويخلده في النار، ويحبط جميع الأعمال، ويبيح دمه وماله، فهو قبيح من عدة وجوه :

أولاً : أنه يجعل صاحبه كافراً مشركاً .

ثانياً : أن المشرك قد حرم الله عليه الجنة ومؤاوه النار وما للظالمين من أنصار، والتحريم يعني المنع من دخول الجنة منعاً باتاً، ولهذا قال : ﴿وَمَا أَوَّلَهُ النَّارُ﴾ لما حرم من الجنة صارت النار مؤاوه أبد الآباد ولا يخرج منها أبداً والعياذ بالله .

ثالثاً : أن الله حرم المشرك من المغفرة، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فالمشرك إذا مات على الشرك لا طمع له في مغفرة الله سبحانه وتعالى مالم يتبع منه ، وإنما المغفرة من دون توبة لمن شاء الله خاصة بالذنوب التي هي دون الشرك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ كالزنا والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات والكبائر التي لا تصل إلى حد الشرك فهي تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر لأصحابها ، وإن شاء عذبهم بقدر ذنبهم ثم يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بتوحيدهم وإيمانهم، وهؤلاء يقال لهم [عصاة الموحدين]، لكن إذا لم يغفر لهم فإنهم لا يخلدون في النار كما يخلد الكفار وعبدة الأصنام والمشركون.

رابعاً : الشرك يحبط جميع الأعمال، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٦] ، ولهذا يقولون إن

الشرك يبطل الأعمال كما يبطل الحدث الطهارة . فالإنسان إذا توضأ ثم أحدث بطلت طهارته كذلك إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم أشرك شركاً أكبر بطل توحيده، ويبطل أعماله؛ لأن الشرك يبطل الأعمال كما يبطل الحدث الطهارة ، وقال تعالى لما ذكر بعض الأنبياء في سورة الأنعام: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُّ وَمِنْ ذُرْيَتِهِ دَأْوَدَ وَسُلَيْمَانَ ... ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] مع أنهم أنبياء ولكن لو قدر أنهم أشركوا لحطت عنهم أعمالهم كما قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ لَئِنْ أَشَرَكْتَ لَيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ ﴾ فلا ينفع الإنسان أي عمل عمله مع الشرك أو عمله قبله ولم يتبر منه كله لأنه يبطل الأعمال فإذا مات عليه صار من أهل النار الخالدين فيها، قال ﷺ : « من مات وهو يدعونا من دون الله نداً دخل النار، وقلت أنا ^(١) ومن مات وهو لا يدعون الله نداً دخل الجنة » ^(٢)

خامساً : أن الشرك يبيح دم المشرك وماليه ويوجب جهاده ، قال ﷺ :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » ^(٣) فلا يعصي المال والدم إلا التوحيد، أما الشرك فإنه يبيح الدم والمال بمقاتلة

(١) أبي الراوي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وقد جاء قوله هذا مرفوعاً عن النبي ﷺ من حديث جابر ، رواه مسلم (٩٢)

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٩٧) ومسلم (٩٢) عن عبدالله بن مسعود.

(٣) أخرجه مسلم (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقد أخرج نحوه بذكر الصلاة والزكاة البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

أصحابه ، هذا هو الشرك وما يترتب عليه من العقوبات في الدنيا والآخرة، وهو أنواع كثيرة أعظمها : دعاء غير الله ، والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والذبح لغير الله ، والسجود لغير الله ، والنذر لغير الله ، والركوع لغير الله، إلى آخره ومن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك الشرك الأكبر.

النوع الثاني : الشرك الأصغر : وهو ما ورد في الكتاب والسنة تسميته شركاً ودللت الأدلة على أن صاحبه لا يخرج من الملة .

وهو نوعان :

النوع الأول : شرك في الألفاظ : كالحلف بغير الله ، قال ﷺ : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك »^(١) ، ومثل قول : لو لا الله وآنت ، ما شاء الله وشئت، هذا شرك في الألفاظ.

النوع الثاني : شرك خفي في القلوب، وهو أنواع : من أبرزها الرياء، فهو يعرض لما يرى من الأعمال وهو على نوعين :

١ - رياء المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، الذين يراؤون الناس بأعمالهم ويعتقدون بقلوبهم الكفر، هذا والعياذ بالله رياء كفر؛ لأن أصحابه لا يؤمنون بالله عز وجل وإنما يتظاهرون بالأعمال الصالحة لأجل مطامع دنيوية .

(١) أخرجه أحمد (٤٩٠٤)، والترمذى (١٥٣٥)، وأبوداود (٣٢٥١)، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن »، والحاكم (١٨/٤) و(٤/٢٩٧) وصححه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

٢- الرياء الذي يحصل من المسلم، قال ﷺ لأصحابه لما خرج إليهم وهم يتذكرون الدجال قال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا: بلى يا رسول الله . قال : « الرياء، يقوم أحدهم فيصلني ويزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه »^(١) . فهذا قد يقع من المسلم والمؤمن، فإذا وجد في نفسه شيئاً من هذا الرياء قاومه وعاد إلى الإخلاص لله عز وجل فلا يضره إذا دفعه، وأما إذا استمر معه فإنه يبطل العمل إذا كان معه من بدايته وكذلك إذا طرأ في أثناء العمل واستمر على الراجح ، وكذلك السمعة وهي لما يسمع من الأقوال كالذكر وتلاوة القرآن من أجل أن يسمعه الناس ويثنوا عليه، ويقع في الأقوال المشروعة من قراءة وأذكار وغير ذلك من يفعلها يريد أن يمدحه الناس حين يسمعونه ، أو أن يقع في نفسه شيء من حب الثناء وهذا شرك أصغر .

وكذلك من الشرك الخفي أن يريد الإنسان بعمله الدنيا، فيعمل عملاً صالحًا وهو يريد طمع الدنيا كما قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَيْنَهَا نُوقِّتُ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَثَارُ ﴾ [هود: ١٥]، فالذي يأتي بعبادة يريد بها طمع الدنيا، كالذي يطلب العلم الشرعي لأجل الدنيا، وأما الذي يطلب العلم غير الشرعي فلا بأس أن يتعلم من أجل الحرفة والمهنة ليتعيش بها لأن يتعلم الحساب والصناعة والكتابة يقصد بذلك أن

(١) أخرجه أحمد (١١٢٥٢)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، والحاكم (٤/٣٢٩)، وصححه الحاكم وحسنه الألباني.

يحصل على وظيفة فهذا لا بأس به وهو من الأسباب المباحة وليس عبادة ، أما العبادات كأن يصلّي من أجل طمع الدنيا أو يجاهد من أجل طمع الدنيا أو يطلب العلم أو يحج فهذا داخل في هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوقِّتٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِنُونَ﴾ وعليه الوعيد الشديد وهو نوع من الشرك، قال ﷺ : «تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، تعس عبد الدينار والدرهم، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض»^(١) فهذا نوع من الشرك، فالإنسان يخلص أعماله لله عز وجل ، فإن جاءه شيء من الدنيا فهو رزق ساقه الله إليه، وأما إن عمل الآخرة لأجل الدنيا فهذا هو المذموم وهو من الشرك وعليه الوعيد الشديد، فعلى المسلم أن يخلص أعماله لله عز وجل .

وهناك فروق كثيرة بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر وهي :

- ١ - أن الشرك الأكبر يخرج من الملة . والشرك الأصغر لا يخرج من الملة ولكنه كبيرة من كبائر الذنوب، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر.
- ٢ - أن الشرك الأكبر يحيط جميع الأعمال. وأما الشرك الأصغر إذا كان رباءً أو سمعة فإنه يحيط العمل الذي وقع فيه، ولا يحيط بقية الأعمال التي ليس فيها رباء.
- ٣ - أن الشرك الأكبر يحل الدم والمال بخلاف الشرك الأصغر فإنه لا يحل دم الإنسان وماليه لأنه لم يخرج من الإسلام. وانختلف العلماء في الشرك الأصغر هل يغفر كسائر الذنوب التي دون الشرك الأكبر أو لا

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

يغفر ؟ لأن الله عَمِّمَ فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ﴾ فهذا يعم الشرك الأكبر والأصغر، ولكن هناك فرق بحيث أن الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار، وإنما لابد من تعذيبه ولا يقبل المغفرة لكن لا يخلد في النار.

فهذه بعض الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، وكلها خطيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا يُقال هذا شرك أصغر فitisahel الإنسان فيه ؛ وهذا يقول عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : « لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى أن أحلف بغيره صادقاً^(١) ». لأن سيئة الكذب أخف من سيئة الشرك.

وهناك شبكات يدللي بها عباد القبور وعباد الأولياء والصالحين اليوم، يلبسون بها على الناس منها أنهم يقولون : إن الشرك عبادة الأصنام فقط ، وأما من عبد غير الأصنام كالذي يعبد الأولياء والصالحين فهذا ليس شركاً، وإنما هو توسل إلى الله والله تعالى يقول : ﴿وَاتَّبَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

والجواب على هذه الشبهة : أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ منهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الشجر والجمر ، ومنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرِهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاءُ مُنَّا﴾ [يونس: ١٨]، وكذلك النصارى عبدوا المسيح - فهم لا يعبدون صنماً

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٩٢٩)، والطبراني في الكبير (٨٩٠٢)، وقال الم testimي في جمع الزوائد (٤/١٧٧) : « رجاله رجال الصحيح » .

ولأنما يعبدون المسيح عليه الصلاة والسلام - فهل يقال : إنهم غير مشركين لأنهم لا يعبدون صنماً ؟ من يقول هذا ؟ فالشرك هو عبادة غير الله أياً كان هذا الغير ، والشركون الأولون ليس شركهم مقصورة على عبادة الأصنام بل هم مختلفون في عباداتهم كما ذكر ذلك الشيخ في كتابه «كشف الشبهات» وفي «القواعد الأربع» وهو : أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم وحاربهم جميعاً وقاتلهم ولم يفرق بينهم، لم يفرق بين من عبد صنماً ، وبين من عبد قبراً أو شجرة أو حجراً أو وليناً من الأولياء بل قاتلهم ولم يفرق بينهم ، فلا فرق بين من عبد الصنم أو عبد الشجر والحجر أو الملك أو الجن أو الإنسان، وهذا شيء واضح .

ومن شبّهاتهم أنهم يقولون : إننا لا نعبد الأولياء والصالحين لأنهم ينفعون أو يضرّون وإنما نعبد هم لأجل أن يشفعوا لنا عند الله، ويتقربون لهم بالذبح والذر والاستغاثة من أجل أن يشفعوا لهم عند الله ، أما الشركون الأولون فإنهم يعتقدون أن هذه الأشياء تنفع وتضر من دون الله عز وجل ، يقولون : ونحن لا نعتقد ذلك ، ونحن نعلم أنهم لا ينفعون ولا يضرّون، ولكن اتخاذهم شفاعة .

والجواب عن هذه الشبهة : أن هذا هو الذي ذكره الله عز وجل عن المشركين الأولين قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاءُنَا﴾ [يونس: ١٨] لا فرق بين شرك هؤلاء وبين شرك الأولين، فكلهم يقصدون الشفاعة ، أن تشفع لهم هذه الأشياء والمعابدات، فالشفاعة حق ولكن ليس هذا هو طريقها، بل لها طرق شرعية بيّنها الله تعالى وبيّنها الرسول ﷺ ، ليس من طرقها أن الشافع يُتَخَذ إلَيْهَا من دون الله يذبح له وينذر له ويستغاث به ، هذا هو

فعل المشركين الأولين لا فرق.

ومن شبهاهاتهم : أنهم يقولون : إن المشركين الأولين لا يقولون لا إله إلا الله ، أما هؤلاء الذين يعبدون الأولياء والصالحين فإنهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فكيف تجعلون من لا يقول لا إله إلا الله إلا الله مثل الذي يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟

فنتقول : سبحان الله ، هؤلاء قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ولكن ناقضوها ، ولا إله إلا الله لا تنفع إلا إذا سلمت من المناقضات ، فهوؤلاء تلفظوا بها ولكنهم ناقضوها بفعل الشرك ، فما معنى لا إله إلا الله ؟ معناها : لا معبود بحق إلا الله ، وهوؤلاء يقولون هذه الكلمة ولا يعملون بها .

فهم يعبدون القبور والأولياء والصالحين وهم يقولون : لا إله إلا الله . فالمشركون الأولون أعرف بـ « لا إله إلا الله » من هؤلاء ؛ لأنه لما قال لهم رسول الله ﷺ : « قولوا : لا إله إلا الله » قالوا : « أَجَعَلَ الْأَمَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۝ » [ص : ٥] عرفوا معنى لا إله إلا الله وأن من قالها لابد أن يترك عبادة غير الله ، وهوؤلاء - من جهلهم وغباوتهم - جعوا بين النقيضين ، بين قول : لا إله إلا الله وبين عبادة غير الله عز وجل فهم لم يفهموا من « لا إله إلا الله » ما فهمه المشركون من قبل ، وهذا في منتهى الغباء والسذاجة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولكن الهوى والعياذ بالله يقع في الصلال .

ومن شبهاهاتهم أنهم يقولون : إن المشركين الأولين يعبدون أشجاراً وأحجاراً وجمادات أما نحن فندعو ونتوسل بعباد صالحين وأولياء لهم جاه عند الله ، فنحن نتخدthem وسيلة عند الله ، والله جل وعلا يقول : « يَتَائِئُهَا الَّذِينَ أَمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ۝ » [المائدة : ٣٥]

فنحن اتخذنا الوسيلة، فهو لاء هم الوسيلة .

فنقول لهم : الوسيلة في كتاب الله الطاعة والعبادة، وهي ما يوصل إلى الله عز وجل بطاعته وفعل أوامره وترك نواهيه ، وليس الوسيلة أنك تجعل بينك وبين الله واسطة ، هذا لم يدل عليه القرآن ولا السنة وما قال به أحد من أهل العلم المعتبرين، بل الوسيلة في الكتاب والسنة هي التقرب إلى الله بطاعته قال تعالى : ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ إِمَانُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي القربى إلى الله والطاعة، أما من فسر الوسيلة باتخاذ الوسائل فهذا تفسير باطل ومحدث ولم يقل به أحد من أئمة التفسير، والله الحمد .

وعلى كل حال فهذه شبكات داحضة لا قيمة لها - والله الحمد -
ولكن هي التي يعتمدون عليها .

وهناك من يعتذر عنهم ويقول : هؤلاء الذين يعبدون الأضرحة والقبور يعذرون بالجهل، وما أكثر ما نسمع هذه المقالة أو نقرؤها في كتبهم، وأن فعلهم هذا لا يجوز لكنهم جهال .

فنقول لهم : كيف يكونون جهالاً وهم يقرؤون القرآن وفيه النهي عن الشرك ؟ والنهي عن اتخاذ الوسائل من دون الله عز وجل ؟

ومن بلغه القرآن وهو عربي يفهم معناه قامت عليه الحجة، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأَنذِرَكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فمن بلغه القرآن وهو عربي قامت عليه الحجة، وإن كان غير عربي فيتترجم له معناه حتى يفهمه ، وهؤلاء الذين يتخذون القبور والأضرحة في بلاد العرب هم عرب فصحاء وربما أن أحدهم يحفظ كتاب سيبويه، ويعرف اللغة العربية والبلاغة ومع هذا يعبد القبور، هل هذا معدوز بالجهل؟

وأكثر ما تكون هذه القبور والأضرحة في بلاد العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فكيف تقولون هؤلاء جهال؟ إلى متى الجهل؟ لأنه بعد بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن زالت الجاهلية وجاء العلم والحجج، فهل يعذر بالجهل وهو يعيش في بلاد المسلمين ويحفظ القرآن، ويقرأ القرآن ويسمعه ، ويسمع كلام أهل العلم خصوصاً عندما جاءت وسائل الإعلام التي تنقل إلى الناس كلام أهل العلم، ويقرأ فيها القرآن صباحاً مساءً بصوت يسمعه من في المشرق والمغارب، كيف يقال: إن هؤلاء ما بلغتهم الحجج؟ هؤلاء جهال ! مع أن أكثرهم معهم شهادات علياً في اللغة العربية وعلوم الشريعة القراءات والفقه والأصول.

فالحاصل أنهم لا حجة لهم، وحجتهم داحضة عند ربهم، ونسأله أن يهديهم إلى الصواب، وأن يستبين لهم الحق، وأن يتركوا العناد، ويتركوا التقليد الأعمى ، ويرجعوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ حتى يتحققوا إسلامهم ويصححوا دينهم ويكونوا من أمة محمد ﷺ ، ولا يكونوا من أمة المشركين وأتباع أبي جهل وأبي هب .

فهذا في الواقع أمر عظيم وخطير، وأنتم يا عباد الله تقرؤون وتسمعون ومنكم من سافر ورأى العجب العجاب من أفعال هؤلاء وشركياتهم ووثنياتهم ولا يقبلون نصيحة، ولا يصغون إلى من يناديهم إلى الحق إلا من شاء الله ، فهذا أمر خطير ولا يجوز لطالب العلم والعالم أن يسكت على هذا بل عليه أن يبين للناس ويوضح للناس ويدعو إلى الله تعالى . ويجب على ولادة المسلمين جهاد هؤلاء حتى يكون الدين لله وحده.

ما معنى الدعوة إلى الله ما دمنا ساكتين عن هؤلاء ؟ ندعوه إلى

الصدق ، وعدم الغش في البيع والشراء ، وعدم الزنا وترك الشرك لأن دعوهم إلى تركه ، ترك الخطر العظيم ولا نبدأ بالتوحيد والنهي عن الشرك" وأما بقية الذنب فإنها تحت المشيئة لكن الشرك لا يقبل المغفرة ولا يدخل تحت مشيئة الله في المغفرة، وكوننا نبدأ بالفروع وترك الأصل هذه ليست طريقة الدعوة إلى الله عز وجل فإن الرسل أول ما يبدأون بتصحيح العقيدة في الدعوة إلى الله عز وجل، لا يبدأون بالأطراف والجوانب التي لا تنفع مع عدم التوحيد وعدم العقيدة الصحيحة .

فلو أن الإنسان ترك الزنا وترك شرب الخمر والربا وترك جميع المحرمات إلا أنه مشرك لم ينفعه ذلك كله، ولو يصلى الليل والنهار، ولو تصدق بجميع أمواله ما دام عنده شرك أكبر فلن ينفعه ذلك .

أما لو كان عنده توحيد وسلامة من الشرك والخلاص لله فهو لو عمل الكبائر التي دون الشرك فإنه يُرجى له المغفرة، وإن عذب فإنه لا يخلد في العذاب، فكيف نترك الأمر الخطير ونتوجه إلى ما دونه ونقول هذا العمل هو الدعوة إلى الله عز وجل .

الآن تعرفون جهود الدعوة وكثرة الدعاة وأن لها مؤسسات ومراكز لكن الأضরحة على حاملها بل تزيد في العالم الإسلامي، والتتصوف والبدع يكثران ! أين الدعوة إلى الله ؟ أين هذه الجهد وثمراتها؟.

فالواجب علينا أن نتباهي بهذا الأمر وأن ندعوا إلى الله على بصيرة ونبدأ بما بدأت به الأنبياء والرسل، وهو تصحيح العقيدة ثم البناء عليها، لأنها هي الأساس وما عدتها مبني عليها، فإذا كان الأساس صحيحًا كان البناء صحيحًا ، وإذا كان الأساس فاسداً انهار البناء ولا ينفع صاحبه ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنِيَّتْهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَرِضْوَانٌ خَيْرٌ أَمْ

مَنْ أَسَّسَ بُنِيَّكُنُّهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارِ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلَّمِينَ ﴿١٠٩﴾ [التوبه: ١٠٩] هذا مثال واضح لمن أسس دينه على عقيدة صحيحة ونية صالحة ومن أسس بنائه على شرك وعلى أمور أخرى مخالفة للدين الله .

هذا، ونسأله أن يرينا الحقَّ حَقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، إنه سميع مجيب .

* الأسئلة :

سؤال: ذكر بعض العلماء أن الذنوب كلها داخلة تحت الشرك الأصغر، فهل هذا القول صحيح؟

جواب: ما كل الذنوب شرك ، منها ما هو شرك ومنها ما هو غير شرك ، وجعل الذنوب كلها من الشرك هذا غلط.

سؤال : لقد ذكرتم أن العلماء رحمهم الله ، اختلفوا في الشرك الأصغر هل يغفر أم لا؟ وما هو الراجح من اختلافهم؟

جواب: الراجح والله أعلم أنه لا يغفر لعموم الآية ولكن صاحبه لا يخلد في النار كما يخلد صاحب الشرك الأكبر.

سؤال: التبرك متى يكون شركاً ومتى لا يكون شركاً؟

جواب: إذا اعتقد أن البركة تحصل من غير الله عزوجل بأن تبرك بالشجر أو الحجر يعتقد أنه يمنع البركة ، فهذا شرك أكبر ، أما إذا اعتقد أن هذا الشيء سبب للبركة ، والبركة من الله وهذا سبب لحصولها فهذا شرك أصغر.

سؤال: لو ذبح رجل أضحية عند قبر فلان ، رجاء أن تنزل البركة على ذبيته ، فهل يعد هذا الذبح شركاً أكبر ، أم شركاً أصغر ؟
الجواب: إذا كان ذبح للميت ، أو ذبح للقبر فهذا شرك أكبر ، أما إن كان ذبح لله ، ولكن يظن أن هذا المكان فيه فضيلة فهذا شرك أصغر ووسيلة من وسائل الشرك الأكبر.

سؤال: هل لثبوت الردة شروط معتبرة ؟

جواب: شروط الردة :

أولاً: أن لا يكون معدوراً بالجهل ، لأن يكون مابلغه شيء ، أو عاش في بيئه بعيدة عن المسلمين ولم يسمع بشيء ولا بلغه شيء ، هذا لا يحكم عليه حتى يبين له ويشرح له أن هذا شرك وهذا كفر.

ثانياً: عدم الإكراه ، أما إذا أكره على قول الكفر أو كلمة الكفر مع صحة إيمانه في قلبه وعقيدته ، فهذا يعذر بالإكراه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُظْمَنٌ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٦].

سؤال: ما رأيكم فيمن يقول أن كتاب نواقض الإسلام وكتاب كشف الشبهات تعلم الناس التكفير وتجرؤهم على ذلك ، فالأخ الأولى عدم تدريسها للناس ؟

جواب: ألم نقل لكم أثناء الدرس أن هناك من يقول لكم لماذا تدرسون الناس مثل هذه الأشياء ؟ لماذا تشرحونها ؟ الناس مسلمون ويكتفي اسم الإسلام ولو فعلوا ما فعلوا ، هذا كلام قالواه ويقولونه ، وهم أعداء التوحيد ، شارقون بالتوحيد ، لا يريدون التوحيد ولا ذكر

التوحيد ، هذا قصدهم، ولكن سندرس هذا إن شاء الله وسيقرر في المدارس وسيشرح في المساجد رغم أنوفهم وهذا واجب على أهل العلم وواجب على الناس أن يتعلموا هذا الأمر ، لأن هذا هو أساس الدين.

سؤال: رجل يدعوه غير الله ، فأخبرته أن هذا العمل شرك ، فلم يستجب فعلم عليه بالشرك ؟ أم أنه لابد أن يحكم عليه بذلك عالم من العلماء ؟

جواب: ما الحكم عليه حتى نسمع كلامه ، ونستقرئ حالته ، هل هو صحيح العقل أو مخبوط ؟ هذا لابد يرجع فيه إلى أهل العلم ويبلغ عنه أهل العلم في بلده ، من أجل أن يتخذوا معه الإجراء اللازم.



الدرس الثالث في شرح النافع الثاني

قال - رحمه الله - : ومن جعل بينه وبين الله وسائل يدعوهم
ويسائلهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً .

الشرح :

قال رحمه الله : « الثاني » أي : من نوافع الإسلام: « من يتخذ بينه وبين الله وسائل يدعوهم ويسائلهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً».

قوله : « من يتخذ بينه وبين الله وسائل » أي : وسائل من الخلق يتسطون له عند الله بزعمهم، وهذه المسألة - مسألة الواسطة بين الله وخلقه - وفيها تفصيل^(١) كما قال شيخ الإسلام.

فمن قال لابد من واسطة بين الله وبين خلقه فإنه يُسأل : ما مقصوده بالواسطة ؟

فإن كان المقصود : أنه لابد لنا من واسطة في تبليغ الرسالة فيما بيننا وبين الله فهذا صحيح، هذه واسطة لابد منها من أنكرها كفر، فلابد من واسطة في تبليغ شرعيه وهم الرسل من الملائكة والبشر فمن أنكر هذه الواسطة كفر، فمن أنكر الملائكة والرسل الذين يأتون بشرع الله وقال : لا حاجة إليهم نحن نحصل بالله بدونهم كما تقوله الصوفية إنهم يأخذون عن الله مباشرة بلا واسطة فهذا كفر بالإجماع.

وهناك واسطة من ثبتها فقد كفر وهي التي ذكرها الشيخ رحمه الله وهي أن يُتخذ واسطة بينه وبين الله ، يدعوهم ويطلب منهم الشفاعة

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢١/١٢٣-١٢٤).

ويتوكل عليهم، فهذه الواسطة من أثبتها كفر إجماعاً ، لأنه لا واسطة بيننا وبين الله في عبادته، بل يجب علينا أن نعبد الله وندعوه مباشرة وبدون واسطة، وأن نطلب منه الشفاعة بدون واسطة، وأن نتوكل عليه بدون واسطة بيننا وبين الله، قال تعالى : ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠] ما قال : ادعوني بواسطة فلان، أو اخذوا واسطة، وهذه الواسطة من أثبتها فقد كفر وهي أنه يجعل بينه وبين الله وسائل يصرف لهم شيئاً من العبادة من أجل أن يقربوه إلى الله، كما يقول المشركون من قبل : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] فسمى هذا عبادة ﴿قُلْ أَتَنْبَيْتُ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [يونس: ١٨] سمي هذا شركاً ونزع نفسه عنه ، وهذا هو حال عباد الأموات والأضرحة الآن، يتخذون الأولياء والصالحين وسائل عند الله، يذبحون لهم عند قبورهم وينذرون لهم ويستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله، فإذا قيل لهم: هذا شرك قالوا: هؤلاء وسائل بيننا وبين الله، نحن لا نعتقد أنهم يخلقون مع الله، ويرزقون مع الله، وإنما اخذناهم وسائل بيننا وبين الله ، يبلغون الله حواejنا، فيذبحون لهم ويعظمونهم وينذرون لهم بحججة أنهم وسائل بينهم وبين الله، وهذا هو شرك الأولين كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَتَخْذَلُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَيْ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر : ٣] فسمى فعلهم هذا كذباً وكفراً .

وأما الذي يتخذ الوسائل ويعتقد أنها سبب ، ولا يدعوها ، ولا يذبح ولا ينذر لها ويعتقد أن العبادة لله ولا يعبد إلا الله لكن يتخذ الوسائل

على أنها أسباب تقربه إلى الله بزعمه ويُسأل الله بجاههم وحقهم، فعمله هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك؛ لأن الله لم يأمرنا باتخاذ الوسائل في الدعاء وطلب الشفاعة، وليس هذا سبب لإنجابة الدعاء بأن توسط بينك وبين الله صاححاً من الصالحين أو نبياً من الأنبياء هذا قول على الله بلا علم، فالله أمرنا بدعائه ولم يأمرنا باتخاذ واسطة بيننا وبينه، فيجب التفريق بين الحالتين، حالة من يعبد الوسائل ويذبح لها وينذر ويقرب إليها، وحالة من لا يعبدوها وإنما يتخذها بهثابة وسائل تبلغ حاجته لله عز وجل بجاهها وصلاحها ومكانتها عند الله فهذا باطل وهو بدعة؛ لأنه إحداث شيء في الدين لم يأذن الله به، وهو وسيلة من وسائل الشرك، والمتاخرون لا يقتصرن على جعل الوسائل مجرد وسائل لا يصرفون لها شيئاً من العبادة، بل الغالب أنهم يعبدونها وينذرون ويذبحونها لها، كما يفعلون عند الأضرحة فيتبركون بتربتها وأعتابها ويحجون إليها في أوقات معينة، ويعكفون عندها، ويأتون بقطعان الأنماع فيذبحونها في ساحات الأضرحة يتربكون بها إلى الأضرحة، وأصحاب الأضرحة بزعمهم يقربونهم إلى الله ويبلغون الله حواejهم، وهذا هو شأنهم ودينهم من قديم منذ بنيت المساجد على القبور كما أخبر النبي ﷺ وقد وقع ما أخبر به ﷺ، ووقع هؤلاء فيما وقعت فيه اليهود والنصارى من البناء على القبور كما قال ﷺ: «إِنَّمَا كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدًا أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدًا، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(١)، وكان هذا منوعاً في الصدر الأول من هذه الأمة في عصر القرون المفضلة ولا يوجد شيء من

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

البنيات على القبور حتى جاءت دولة الفاطميين الشيعة ، واستولوا على مصر وكثير من البلاد وهم شيعة باطنية فبنوا المشاهد على القبور في مصر وغيرها، ثم تكاثرت الأضرحة في بلاد المسلمين بعد ذلك بسبب هؤلاء الشيعة قبحهم الله، فهم أول من بنى على القبور كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وهؤلاء لهم شبّهات يستدلّون بها بزعمهم يظنون أنها أدلة :

الشّبّهـةـ الأولى : أن هذا من اتّخـاذـ الوسـيـلـةـ وقد قال تعالى : ﴿ يَتَائِهَا الَّذِينَ، أَمْنُوا أَتَّقُوا اللَّهَ وَأَتَّبَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهَدُوا فِي سَيِّلِهِ لَعَلَّهُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥] فـسـرـواـ الوـسـيـلـةـ بـأـنـ تـجـعـلـ بـيـنـكـ وـبـيـنـ اللهـ وـاسـطـةـ مـنـ الـخـلـقـ،ـ وـفـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] فـسـرـواـ الوـسـيـلـةـ فـيـ الـآـيـتـيـنـ بـأـنـ اتـخـاذـ الـوـسـائـطـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ اللهـ وـهـذـاـ تـفـسـيرـ باـطـلـ لـمـ يـقـلـهـ أـئـمـةـ التـفـسـيرـ،ـ بـلـ أـئـمـةـ التـفـسـيرـ فـسـرـواـ الوـسـيـلـةـ بـأـنـهـ الطـاعـةـ وـالتـقـرـبـ إـلـىـ اللهـ بـعـبـادـتـهـ،ـ وـالـوـسـيـلـةـ هـيـ الـطـرـيقـ المـوـصـلـ إـلـىـ اللهـ بـعـبـادـتـهـ وـذـلـكـ بـعـبـادـتـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ،ـ وـالتـقـرـبـ إـلـيـهـ،ـ فـالـطـرـيقـ الـذـيـ يـوـصـلـ إـلـيـهـ وـهـوـ عـبـادـتـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ،ـ فـالـوـسـيـلـةـ هـيـ الـعـبـادـةـ وـالـطـاعـةـ بـفـعـلـ الـأـوـامـرـ وـتـرـكـ النـوـاهـيـ.

وـأـمـاـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ فـالـمعـنىـ أـنـ الـذـينـ يـعـبـدـونـ الـمـلـائـكـةـ مـنـ الـعـرـبـ وـالـذـينـ يـعـبـدـونـ الـمـسـيـحـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـنـ النـصـارـىـ رـدـ اللهـ عـلـيـهـمـ بـأـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ تـعـبـدـونـ مـنـ دـوـنـ اللهـ هـمـ مـنـ عـبـادـيـ يـتـقـرـبـونـ إـلـيـهـ وـيـعـبـدـونـنـيـ وـلـيـسـ لـهـمـ مـنـ الـأـمـرـ شـيـءـ وـلـاـ مـنـ الـرـبـوـبـيـةـ شـيـءـ،ـ فـهـمـ

عباد يتقربون إلى الله بالعبادة ويرجون رحمة الله ويخافون عذابه، فلا يجوز أن يُتَّخِذُوا وسائط ووسائل يُتَّقْرِبُ بِوَاسْطَتِهِمْ إِلَى الله فقوله ﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: يدعوهُمُ المُشْرِكُونَ من الملائكة وبعض الرسل كالمسيح عليه السلام هؤلاء عباد الله ليس لهم من الأمر شيء، ﴿يَتَنَعَّمُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ فهم فقراء إلى الله محتاجون إليه، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ فكيف يُتَّخِذُونَ آلهةً يعبدون مع الله وهم عباد يخافون من عذاب الله ويرجون رحمته ويتقربون إليه؟ هذا هو تفسير الآية الذي فسرتها به أئمة التفسير.

وقيل: إن أنساً كانوا يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن ولم يعلم الذين يعبدونهم بإسلامهم ، فالله أخبر أن هؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله قد أسلموا وصاروا يتقربون إليه ويرجون رحمته ويخافون عذابه. فكيف يُتَّخِذُونَ مع الله تعالى وهم من عباده ويعبدون الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه؟

فالآية لها تفسيران صحيحان : التفسير الأول: أن المراد بهم الملائكة وبعض الرسل، والثاني : أن أنساً من الجن يعبدُهُمُ المُشْرِكُونَ فأسلموا ولم يعلم من يعبدونهم أنهم أسلموا ، فالله أخبر عنهم ، وعلى كل ما داموا كذلك فهم عباد يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فلا يجوز أن يُتَّخِذُوا مع الله سبحانه وتعالى ؛ وهذا بطل تفسيرهم أن الوسيلة هي اتخاذ الوسائل من المخلوقين بينهم وبين الله وسقطت حجتهم والله الحمد .

الشبيهة الثانية :

أنهم يُتَّخِذُونَ الوسائل بينهم وبين الله من باب التعظيم لله، فإن الله

عظيم ولا يتوصل إليه إلا بالوسائط وهم الشفعاء الذين يشفعون عنده ويتوسطون عنده فهذا بزعمهم من تعظيم الله بحيث لا يتوصل إليه إلا بوسائط، كما إن ملوك الدنيا لا يتوصل إليهم إلا بالوسائط والشفاء ، فحصل من زعمهم هذا:

أولاً: أنهم قاسوا الله - عز وجل - على ملوك الدنيا ، وهذا أمر باطل، وليس من تعظيم الله - سبحانه وتعالى - بل هو من تنقص الله بحيث إنهم قاسوه بخلقه وصرفوا شيئاً من عبادته لغيره، والشرك تنقص الله عز وجل وليس تعظيماً كما يزعمون.

ثانياً: أن قياس الله على البشر تنقص الله تعالى، فالله جل وعلا يعلم أحوال عباده أما البشر والملوك فلا يعلمون أحوال الرعية إلا بأحد يبلغهم عنها لأنهم بشر ، وأما الله عز وجل فإنه يعلم ما في السموات والأرض ولا يحتاج من يبلغه حوائج عباده.

ثالثاً: أن ملوك الدنيا بحاجة إلى أن يقبلوا شفاعة الشافعيين لأنهم بحاجة إلى الأعوان والوزراء فلو ردوا شفاعتهم لتنكروا عليهم وعادوهم، فهم يقبلون شفاعتهم وإن كانوا يكرهون ذلك من أجل الإبقاء على ملوكهم واستجلاب الناس للخضوع لهم، أما الله جل وعلا فإنه غني عن عباده لا يحتاج إلى وزراء وشففاء كملوك الدنيا .

رابعاً: أن ملوك الدنيا - في الغالب - لا يريدون الخير ولا يعطون الطلب إلا مع تثاقل، وأما الله جل وعلا فكريم ولا يؤثر عليه أحد في إرادة الخير لعباده كما يؤثر على ملوك الدنيا، الله جل وعلا إذا طلبه ودعوته فإنه قريب مجيب لا يحتاج إلى وساطة بخلاف ملوك الدنيا فإنهم لا يعطون الطلب إلا بعد التي واللتي كما هو معروف؛ لأنهم بشر

وصفة البشر الشح والبخل والتمنع والتنكر، أما الله جل وعلا فإنه كريم مجتب قريب غني.

خامساً: أن ملوك الدنيا فقراء ينفد الذي عندهم، وقد لا يكون عندهم شيء ويحتاجون إلى القرض وإلى الاحتيال ، وأما الله جل وعلا فعنه خزائن السموات والأرض فهو غني كريم، كل حوايج الخلق عنده، قال الله تعالى في الحديث القدسي : «يا عبادي، لو أن أولكم وأخركم وإنكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسالته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر »^(١) فلو أن كل الخلق أو لهم وأخرهم وإنهم وجنهم اجتمعوا في صعيد واحد وسألوا وأعطاهم الله حوايجهم كلها لا ينقص ذلك من ملكه شيئاً، بخلاف ملوك الدنيا فلو أعطوا نفداً الذي عندهم قال تعالى : ﴿مَا عِنَّدَكُمْ يَنَفَدُ وَمَا عِنَّدَ اللَّهَ يَأْكُلُ﴾ [النحل: ٩٦] فقياس الخالق سبحانه على المخلوق بالتخاذل الوسائل عنده قياس باطل من وجوه متعددة.

الشبهة الثالثة : الوسائل رجال صالحون ولهم مكانة عند الله سبحانه وتعالى، فنحن نسأل الله بهم، لأننا مذنبون وهؤلاء رجال صالحون ولهم مكانة عند الله فنطلب منهم أن يقربونا إلى الله زلفى وأن يشفعوا لنا عند الله سبحانه وتعالى .

والجواب عن ذلك : أن صلاح الآخرين وعمل الآخرين ليس لك فيه استحقاق وعملهم لهم وأنت لا ينفعك إلا عملك، فإذا لم يكن لك عمل فهوباء لا ينفعونك ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسُ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩]

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ أَمْرٍ يَنْهَمْ يَوْمًا يَوْمًا يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] فصلاحهم لا ينفعك ما دمت ليس لك عمل، فلماذا لا تعمل أنت حتى تكون صالحاً وقريباً من الله؟ أما أن تعتقد أنه يقربك إلى الله عمل غيرك هذا من الخبال، قال الله جل وعلا : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُشَأْلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فلا ينفعك صلاحهم وقربهم من الله إذا لم تكن أنت على عمل صالح وعلى عقيدة سليمة فإنهم لا ينفعونك أبداً، وأيضاً عملك هذا شرك والشرك لا تقبل فيه الشفاعة؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴾ [المذار: ٤٨] فالشرك لا تقبل فيه شفاعة وعبادة غير الله شرك وإن كنت تزعم أنك تعبدهم لأجل أن يتوضوا لك عند الله فأنت مشرك، والشرك لا تنفعه شفاعة، فعليك أن تصلح عملك مع الله سبحانه وتعالى ولا تلتفت إلى أعمال الآخرين لأنها لهم، فصلاحهم وعملهم لهم، ولا ينفعك أنت إلا عملك الصالح، فإن لم يكن لك عمل صالح فلا أحد ينفعك بعمله حتى ولو كان أقرب الناس إليك.

الشبهة الرابعة: وهي شبهة عريضة عندهم - أن عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء لما أجدبوا واستسقوا، فإن عمر رضي الله عنه طلب من العباس رضي الله عنه عم النبي عليه السلام أن يدعو الله لهم بالغيث فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنما نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قم يا عباس فادع . فقام العباس فدعاه لهم فاستجاب الله لهم^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠١٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

قالوا : توسل عمر با لعباس دليل على أن اتخاذ الوسائل جائز . فنقول لهم : سبحان الله ، إن عمر توسل بدعاء العباس ولم يتتوسل بذات العباس أو بجاهه وإنما توسل بدعائه فقال : قمْ فادعْ ، وطلب الدعاء من الصالحين أمر مشروع ، والنبي ﷺ قال لعمر لما أراد عمر رضي الله عنه أن يسافر للعمره وودعه الرسول ﷺ قال له : « لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك »^(١) . فطلب الدعاء من الصالحين الأحياء أمر مشروع ، وأما الميت فلا يطلب منه شيء ، لكن الرجل الصالح الحي الحاضر يجوز لك أن تطلب أن يدعوك الله لك أو يدعوك للمسلمين ، وكذلك معاوية رضي الله عنه لما استسقوا أمر يزيد (وهو ابن الأسود) الجرشى أن يدعوك الله فدعا الله^(٢) ، ولذا قال الفقهاء في كتاب الاستسقاء : ويستحب التوسل بالصالحين^(٣) ، أي بدعائهم ، ولو كان المقصود التوسل بذواتهم أو بفضلهم ومكانتهم لما عدل الصحابة عن الرسول رضي الله عنه ؛ لأن الرسول ﷺ له مكانة عند الله وله جاء لا يزولان بموته رضي الله عنه ومع هذا لم يسألوا الله بجاه الرسول ولا بحق الرسول ولا بعمل الرسول رضي الله عنه فعدلوا عن الرسول رضي الله عنه وهو أفضل الخلق إلى المفضول وهو عمه رضي الله عنه

(١) أخرجه أحمد (١٩٥) ، وأبوداود (١٤٩٨) ، والترمذى (٣٥٦٢) ، وابن ماجه (٢٨٩٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) أخرجه أبو زرعة الدمشقى في التاريخ (٦٠٢/١) ، واللالكائى في شرح اعتقاد أهل السنة (٢١٤-٢١٥/٩) وصحح إسناده الألبانى ، وقال ابن الملقن : « مشهور ، قاله النووي » ، خلاصة البدر المنير (٢٥٢/١) .

(٣) انظر : المغني (٣٤٦/٣) ، الكافي (٥٣٥/١) .

العباس، فما عدلوا عن الفاضل إلى المفضول ؟ إلا لأن الفاضل ميت والميت لا يطلب منه شيء وإنما يطلب من الحي، فيطلب منه المال ويطلب منه الدعاء ويطلب منه المساعدة إذا كان قادراً وحاضراً ، قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقَوْيِ﴾ [المائدة: ٢] فهذا هو الرد عليهم في قضية توصل عمر رض بالعباس رض لم يتسل بذات العباس أو بحق العباس أو بجهة العباس لأن هذا أمر باطل وإنما عمر رض توصل بدعاه العباس قال له : قم فادع . وهذا أمر جائز لا بأس به .

وحينئذ لابد أن نبين التوسل الجائز والتسل الممنوع، فالتسل ينقسم إلى قسمين : توصل جائز وتسل ممنوع .

أولاً : التوسل الجائز وهو أنواع :

١ - التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالي قال تعالى : ﴿وَلَلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فادعوه بها أي : توسلوا إلى الله بها، فتقول : يا رحمن ارحمني، يا غفور اغفر لي، يا كريم أكرمني وأعطيني، يا غني أغبني، وهكذا، تتوسل إليه بأسمائه، كما توسل أليوب عليه السلام فقال : ﴿أَنِّي مَسَنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] توسل إلى الله بأنه أرحم الراحمين ، فاستجاب الله له.

وتسل يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت في الظلمات : ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلْمَاتِ إِنَّ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾٨٧ فاستجبنا له ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] فتوسل إلى الله بالتوحيد: لا إله إلا أنت، وتسل إلى الله بتسبيحه: أي تنزيهه، وتسل إلى الله باعترافه بذنبه: ﴿إِنِّي كُنْتُ

مِنَ الظَّالِمِينَ)، فاستجاب الله له.

٢ - كذلك التوسل بدعاء الصالحين الأحياء جائز، كما توسل عمر بن عاصي بالعباس رضي الله عنه وطلب منه الدعاء^(١)، وكما توسل معاوية بدعاء يزيد الجرشمي^(٢)؛ وهذا قال الفقهاء في كتاب الاستسقاء : ويستحب التوسل بالصالحين، يعني بدعاء الصالحين كما فعل عمر رضي الله عنه ، وليس المقصود التوسل بحقهم وذواتهم وجاههم، فالتوسل بالجاه أو التوسل بحق الشخص أو التوسل بهكانة الشخص عند الله هذا كله توسل مبتدع ومحرم، وهو وسيلة من وسائل الشرك .

ثانياً: التوسل المنوع : هو التوسل إلى الله بجاه الشخص أو بحق الشخص على الله ، أو بذات الشخص ، هذا توسل منوع، وهو وسيلة من وسائل الشرك ، فيجب التفريق بين التوسل الجائز والمنوع .

وقد ذكر الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في كتاب « التوسل والوسيلة » أنه بسبب اللبس والخلط بين أنواع التوسل حصل الغلط في هذا الباب، فلابد من معرفة التوسل الجائز والتوسل المنوع حتى لا يقع الإنسان في الخلط والخطأ، فهذا باب عظيم، يجب العناية به لئلا يختلط الأمر، ولأن شبكات هؤلاء المضللين تنطلي على بعض الناس والعوام فيجب معرفة الجواب عنها حتى لا يتبس الأمر.

قال الشيخ - رحمه الله - : « فمن اتخذ بينه وبين الله وسائل يدعوهم كان يقول : يا أحمد البدوي، ويا عبد القادر ، ويا حسين ويا علي، يا فلان أغثني أنقذني ، اشف مريضي، رد غائي، فيهتفون

(١) تقدم تخریجه .

(٢) تقدم تخریجه .

بأسمائهم ، فهذا هو الشرك الأكبر، لأن دعاء لغير الله والدعاء أعظم أنواع العبادة كما قال رسول الله ﷺ : «الدعاء هو العبادة»^(١) يعني أعظم أنواع العبادة، فإذا دعا غير الله فهذا أعظم الشرك والعياذ بالله ، سواء دعا ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو جناً أو إنساناً.

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الشياطين قد تمثل بصور الأموات فيخرجون إلى الناس عند القبور فيقول : أنا فلان صاحب القبر، ماذا تريده؟ وهو شيطان تمثل في صورة الميت، فيظن الناس أن هذا هو الميت - هذا معنى ما ذكره الشيخ .

قلت: - وقد يمد يده كما قالوا : إن الرسول ﷺ مد يده إلى الرفاعي وصافحه، وهذا كذب وإن كان واقعاً فالذي مد يده شيطان، لأن الشياطين تمثل عند الأضرحة والقبور بصور أصحاب القبور، أو أنهم يتكلمون من داخل القبر فيظن الناس أن هذا الميت يتكلم فيسمعون صوته، فيظن من يسمعه أنه صوت الميت، وهذا وقع منه كثير، والشيطان يريد أن يغريهم في الشرك من حيث لا يدركون، فيدعون القبر ويطلبون منه الشفاعة.

والشفاعة حق ولكنها لا تطلب من الأموات وإنما تطلب من الله، تقول : اللهم شفع في نبيك، اللهم شفع في عبادك الصالحين. فلا تقف عند القبر وتقول : يا فلان، أوي يا رسول الله اشفع لي لأنه لا يطلب من

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٨٦)، وأبوداود (١٤٧٩)، والترمذى (٣٢٤٧)، ابن ماجه (٣٨٢٨) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

الميت شيء وإنما يطلب من الله، والشفاعة ملك لله وليس ملكاً لغيره ولا تكون إلا بشرطين :

الشرط الأول : أن يأذن الله بها .

الشرط الثاني : أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد ، لا يكون مشركاً .
وهذا الشرط مأخوذه من القرآن قال تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

وكما قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنياء: ٢٨] أي : ارتضى الله قوله وعمله وهو الموحد ، وأما المشرك فيقول الله جل وعلا : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿مَا لِظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] ، وقال تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنِ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] فذكر الشرطين : ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنِ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ هذا هو الشرط الأول ، ﴿وَيَرْضَى﴾ ، هذا هو الشرط الثاني ، وهو لا يرضى إلا عن أهل الإسلام والتوحيد ، ولا يرضى عن المشركين .

إذاً الشفاعة حق فتطلب من الله جل وعلا ، أما طلب الشفاعة من الأموات فهو باطل ، فبطل قوله إنهم يطلبون من الأموات الشفاعة ويقولون الشفاعة حق ، فنقول : نعم ، الشفاعة حق ، ولكن طلبها من الأموات باطل ، وإنما تطلب من الله قال تعالى : ﴿قُلْ لِلَّهِ الْشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] فالشفاعة ملك لله ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] ﴿شَهَدَ بِالْحَقِّ﴾ أي : شهد أن لا إله إلا الله ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي

يعلمون معنى هذه الكلمة ويعملون بها، لا يكفي مجرد التلفظ بالكلمة فقط وهو لا يعلم معناها أو يعلمه وهو لا يعمل به، فلا تنفعه. وكذلك تطلب الشفاعة من الحي الحاضر بمعنى أنه يطلب منه الدعاء. فتقول: يا فلان ادع الله لي بكذا وكذا كما طلب عمر الدعاء من العباس وكما يطلب الناس يوم القيمة الشفاعة من الرسول ﷺ في المحرر.

الشبيهة الخامسة: إن المشركين الأولين يدعون الأصنام والشياطين والجحن أما نحن فندعو أناساً صالحين، فكيف تجعلون الصالحين كالأصنام .

فنقول : سبحان الله! أما تقرأون القرآن؟ أليس المشركون الأولون يطلبون الشفاعة من الملائكة وهم صالحون، ويطلبون الشفاعة من الأنبياء بعد موتهم قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاءُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] وهم يعبدون الملائكة وعزيزاً والمسيح وهؤلاء أناس صالحون، فالجاهليون متفرقون في عباداتهم، منهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم يعبد الشجر والحجر، ومنهم يعبد الملائكة والصالحين والأولياء، فما عليه عباد القبور اليوم من جنس شرك الأولين، الذين يعبدون الملائكة والصالحين ﴿ وَالَّذِينَ أَنْخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَخْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣] فلا فرق بين عبادة المتأخرین للقبور وعبادة السابقین من المشركین، فليست عبادة المشركين الأولين مقصورة على الأصنام كما تقولون ولا على الأشجار والأحجار ولكن منهم من يعبد الصالحين بدليل القرآن فإن الله ذكر

أنهم يعبدون الملائكة وأناساً من عباده قال تعالى : ﴿ أَولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِنَّ رَبَّهُمُ الْوَسِيلَةُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] دل على أنهم يعبدون الصالحين الذين يتغرون إلى ربهم الوسيلة بطاعته سبحانه وتعالى.

فالأمر واضح ولكن المغالطات من هؤلاء لا حصر لها، فيجب على طالب العلم أن يكون على بصيرة بهذه الأمور، خصوصاً الدعاة الذين ينتظرون في سلك الدعوة؛ لأنهم سيواجهون مثل هذه الشبهات فعليهم أن يتعلموا هذه الأمور ويعرفوها من أجل أن يردوا على هؤلاء المشبهين الذين أهلوا الناس بشبهاتهم.

فعباد القبور يتوكلون على الأموات فمنهم من يقول للميت أنا في حسبك يا فلان ولا يتوكلون على الله سبحانه وتعالى، ولا تسمع من المستهיהם ذكر الله وإنما دائماً هجهم بهم يعبدونهم من دون الله ويتوكلون عليهم ويعتمدون، والتوكلا من أعظم أنواع العبادة قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِمْ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] أي من صفاتهم أنهم على ربهم يتوكلون، فقدم المعمول للحصر ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ولم يقل : ويتوكلون على ربهم، وإنما قال : ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فتقديم الجار وال مجرور وهو المعمول على العامل لافادة الحصر مثل: إياك نعبد، أي لا نعبد سواك، فهذا أبلغ من قول: نعبدك، لأن نعبدك لا يفيد حصرأ ، أما : إياك نعبد فيفيد الحصر. فالتوكل عبادة عظيمة وهو الاعتماد على الله جل وعلا وتفويض الأمور إليه، وهذا لا يمنع من

التخاذل الأسباب النافعة مع التوكل على الله فيجمع بين الأمرين، لا يأخذ التوكل فقط ويهمل الأسباب النافعة، ولا يعتمد على الأسباب ويهمل التوكل بل يجمع بين الأمرين، هذا شأن المؤمن .

والرسول ﷺ كان أعظم المتكلمين ومع هذا كان يأخذ بالأسباب، فكان يعده القوة للجهاد، وكان يلبس الدروع عند الجهد، هذه أسباب نافعة بإذن الله، فالمؤمن يجمع بين الأمرين: الأخذ بالأسباب النافعة مع التوكل على الله ، فلهذا يقولون : الاعتماد على السبب شرك، و ترك الأسباب قبح في الشريعة؛ لأن الشريعة أتت باتخاذ الأسباب النافعة.

فهؤلاء - المشركون - يتوكلون على الأموات والأشجار والأحجار فيتوكلون على مخلوق. والنبي ﷺ يقول: «من تعلق بشيء وكل إليه»^(١) فمن تعلق بالله وتوكل عليه كفاه، ومن توكل على غير الله فإن الله يكمله إلى ذلك المخلوق الضعيف، فيضيع لأنه توكل على غير من يتوكله عليه، توكل على ضعيف مثله أو من هو أضعف منه، ولا شك أن الحي ليس كالميت، فالحي يستطيع أن يمشي ويأكل ويشرب ويكتب ويعمل، أما الميت فقد انتهى عمله فكيف إذا ماتوا جعلوهم آلة من دون الله وهم أموات لا يملكون شيئاً لأنفسهم، لا يستطيع أن يكسب لنفسه شيئاً فهو مرتئى، فكيف يتوكل عليه ويعتمد عليه ويطلب منه الحاجات وهو ليس عنده شيء ولا يستطيع؟ لكن إذا انتكست الفطرة، جاء التقليد الأعمى - والشيطان يزين للناس هذه الأمور- بل إنهم يسمون هذه الأمور هي التوحيد، ويسمون التوحيد كفراً أو شركاً، ويقولون من ينكر

(١) أخرجه أحمد (١٨٧٨١)، والترمذى (٢٠٧٢)، والحاكم (٤/٢١٦) وحسنه محققو المسند، وذكروا شواهد فانظرها .

عليهم أنت لا تحب الأولياء، لأنك لا تدعوهم ولا تذبح لهم ولا تنذر لهم ، عندهم حب الأولياء أن يتخذوا من دون الله أنداداً .

نعم.. نحن نحب أولياء الله ونقتدي بهم وندعو لهم أما أن نتذذهم أنداداً مع الله سبحانه وتعالى ونقترب إليهم بالعبادة ، فليست هذه هي محبة الأولياء والصالحين وإنما هي شرك ، والصالحون لا يرضون بالشرك أو أن يعبدوا مع الله عز وجل، فمن الذي يحب الصالحين؟ إن الموحد هو الذي يحب الصالحين ، ويتولاهم ، ويدعو لهم ، ويقتدي بهم ، ويستغفر لهم، لا الذي يدعوهם من دون الله ويذبح لهم وينذر لهم، وهم لا يرضون بهذا ولا يملكون من الأمر شيئاً، وأنت حين تعبدهم أنزلتهم في غير منزلتهم، أنت لو جئت لواحد من الناس وقلت له : أنت ملك . أما يشعر هذا بأنك تسخر منه؟ هل الإنسان العادي يقول له : أنت مثل الملك أو أنت ملك؟ فيعتبر هذا سخرية حيث أنزله منزلة لم يصل إليها ، فالذي ينزل الصالحين منزلة الله فهذا في الحقيقة تنقصهم واحتقرهم ولا يحبهم، وإنما يحبهم من يقتدي بهم ويدعو لهم.



* الأسئلة :

سؤال: ما الفرق بين الناقض الثاني والأول؟

جواب: الثاني نوع من الأول ، الأول عام وهذا خاص ، والشيخ رکز عليه لأنه واقع في الناس ، من عبادة الأضرحة وعبادة القبور والأولياء والصالحين هذه واقعة بالناس كثيراً ، أما عبادة الأحجار والأشجار وغيرها ، فهذه لا أحد من المسلمين في الغالب يقرها ، أما

عبادة القبور فكثيراً من يتسبون إلى الإسلام يقرؤنها ويعتبرونها من الإسلام ، فلذلك رکز الشيخ على هذه خصوصيتها ، وهي نوع من الأول ، لكن هي الواقع في حياة كثير من يتسبون - مانقول : المسلمين ولكن نقول من يتسبون - إلى الإسلام.

سؤال: ما الفرق بين من يتخذ الواسطة سبباً وبين من يذبح لها أو يركع أو يسجد؟ هل هناك فرق بينهما؟

جواب: إذا كان يدعوها صار من الأول ، ولكن إذا لم يدعها ولم يذبح لها ولم ينذر لها ، ولكن يظن أنها سبب توصله إلى الله فنقول هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك ، لأن الله لم يجعل هذا سبباً .

سؤال: بعض الناس الموجودين ، يطوفون مع المشركين على القبور ، ويقولون: من باب تحبيهم لنا ، ثم ندعوه إلى ترك هذا الطواف ، **فما حكم هذا الفعل ؟**

جواب: من طاف معهم فقد عمل عملهم ووافقهم ، وسيأتي في الناقض الثالث ، من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم .. إن الخ هذا يأتي إن شاء الله ، فلا يجوز للMuslim أن يشارك المشركين في عملهم ويطوف معهم على القبور من أجل مجامعتهم ولارضاهم وعدم الإنكار عليهم ، هذا لا يجوز ، وليس هو من منهج الدعوة إلى الله.

سؤال: ما صحة هذه العبارة ، واسطتي هو الله عندما يسأل الإنسان عنمن يتوسط له في أي مكان .

جواب: إن كان يقصد التوكل ، فقد أساء التعبير ، ولكن المعنى صحيح ، ولكن ينبغي أن لا يقول هذا اللفظ ، لأنه يوهم أن الله يتوسط به إلى غيره.

سؤال: ماحكم هذه المقوله : فلان قد قضى لزومه ، أما فلان فهو ضعيف ماله إلا الله؟

جواب: نعم الضعف ماله إلا الله لا أحد من الناس يريد أن يساعدوه ولا ينظر إليه ولكن الله جل وعلا هو الذي يساعد الضعيف والفقير ، فلا محدود في هذا اللفظ.

سؤال: هل يجوز للداعي أن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا، هل هذا الدعاء يكون دعاء للصفة؟

جواب: أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك هذا توسل إلى الله بأسمائه وصفاته وليس دعاءً للصفة وإنما هو دعاء الله قال تعالى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ
أَكْرَمَ الْمُسْكِنَ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُتَحَدِّثُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، فالباء باء التوسل ، مثل: ((برحمتك
استغاث و من عذابك استجير)) وهذا حديث .

سؤال: ما المثال على دعاء الصفة المتنوع؟

جواب: كان يقول ياوجه الله ويارحمه الله وما أشبه ذلك.

سؤال: هل هناك فرق بين التوسل بذات الشخص أو التوسل

بجاهه؟

جواب: لا فرق بينهما كلاهما منع لا يتولى بالشخص، لا بذاته ولا بجهه.

سؤال: ماحكم من اتخد واسطة بينه وبين الله ؟ ولكن بدون صرف شيء من العبادة ، فهل هذا شرك أصغر ؟

جواب: هذا بدعة وهو وسيلة إلى الشرك.

سؤال: حديث الأعمى دين لأهل البدع ، وشبهة لهم ، فما مفهوم هذا الحديث؟ وما صحته ؟

جواب: حديث الأعمى إن صح ليس فيه توسل بالنبي ﷺ وإنما فيه طلب الدعاء من الرسول ﷺ ، والرسول حي وحاضر وطلب الدعاء من الحي الحاضر جائز فهو من التوسل بدعاء الرسول ﷺ وليس لهم فيه حجة ، على ما في سنته من مقال.



الدرس الرابع في شرح الناقض الثالث

وهو : من لم يكفر المشركين أو شَكَ في كفرهم أو صَحَّ مذهبهم كفر .

الشرح .

قوله : « الثالث » أي : الناقض الثالث من نوافع الإسلام : من لم يكفر المشركين؛ لأنَّه يجب على المسلم أن يكفر من كفره الله ورسوله ﷺ والله جلَّ وعلا كفر المشركين عبادة الأوثان وغيرهم من يعبد مع الله غيره ، وكفر من لم يؤمن بالرسل أو بعضهم كما في القرآن والسنة النبوية؛ كفر المشركين من اليهود والنصارى والوثنيين ، فيجب على المسلم أن يعتقد بقلبه كفرهم عملاً بتكفير الله لهم وتكفير رسول الله ﷺ لهم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الظَّاهِرُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَاتَلَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوَةً غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الظَّاهِرِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨١] إلى غير ذلك من المقالات التي حكماها الله عنهم، وهم أهل كتاب ، ويكتفي في تكفيرهم أنهم كفروا بمحمد ﷺ الذي أرسله الله للناس كافة والذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل قال تعالى : ﴿ أَلَّا يَأْتِيَ الْأُمَّةُ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الظَّبَابَتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالظَّاهِرُونَ مَا آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السموات والأرض ﴿ [الأعراف : ١٥٧-١٥٨] قوله : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ عام في جميع الناس من أهل الكتاب وغيرهم ﴿ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَمَنْ مِنْ عِبْدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّى عَوْدَ لَعْلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] فمن لم يؤمن بعموم رسالة النبي محمد ﷺ حتى ولو أقر أنه رسول الله ﷺ ولكن قال إن رسالته خاصة بالعرب دون غيرهم فهو كافر فكيف بالذي يكفر برسالته أصلاً ولا يؤمن بها؟ فهذا أشد كفراً، فالذي يشك في كفر المشركين عموماً سواء كانوا من الوثنين أو من اليهود والنصارى أو من المتسبين إلى الإسلام وهم يشركون بالله يجب اعتقاد كفرهم، فكل من أشرك بالله وعبد معه غيره من الأشجار ، والأحجار ، والأصنام ، والأوثان ، والقبور ، والأضرحة فإنه مشرك كافر يجب تكفيره حتى ولو كان يدعى الإسلام ويقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لأن الشرك يبطل الشهادتين ويناقض الإسلام ويفسد التوحيد فيجب على المسلم أن يكفر المشركين الذين يعبدون غير الله سواء كانوا من العرب أو من العجم، سواء كانوا من اليهود أو النصارى أو المتسمين بالإسلام، هذه عقيدة ليس عليها مساومة، فمن لم يكفر المشركين فإنه يكون مرتدًا كافراً مثلهم؛ لأنه تساوى عنده الإيمان والكفر، لا يفرق بين هذا وهذا، فهذا كافر .

وكذلك من شك في كفر المشركين وقال : ما أدرني هل هم كفار أو غير كفار؟ فإنه يكون كافراً؛ لأنه متعدد في دينه بين الكفر والإيمان، ولم يفرق بين هذا وهذا.

وأشد من ذلك «من صحق مذهبهم» أي: من صحق مذهب المشركين، وما أكثر من يصفع مذهبهم ويدافع عنهم، خصوصاً اليهود والنصارى، ففيه الآن دعوى قائمة وهي الدعوة إلى الوحدة بين الأديان الثلاثة كما يزعمون : الإسلام واليهودية والنصرانية ويقولون كلها أديان صحيحة وكلهم مؤمنون بالله فلا نكفرهم، فهذا أشد كفراً من الذي شك في كفرهم، لأنه صحق مذهبهم وقال : إنهم يؤمنون بالله ويتبعون الأنبياء، فاليهود يتبعون موسى والنصارى يتبعون عيسى!! .

فنقول له : إنهم لم يتبعوا موسى ولا عيسى، لو كانوا يتبعونهما لآمنوا بـ محمد ﷺ؛ لأن موسى وعيسى - عليهما السلام - بـ شـ رـاـ بـ حـ مـ دـ ﷺ وهو موجود في التوراة والإنجيل ، فالتوراة التي أنزلت على موسى موجود فيها ذكر محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي أُنْذِرَتَ الَّذِي يَحْدُثُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ۚ ۝﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، والإنجيل الذي نزل على عيسى فيه ذكر محمد ﷺ بل صرخ عيسى عليه السلام بذلك فقال : ﴿ يَبْيَنِي إِنْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمَهُ أَخْمَدُ ۝﴾ [الصف: ٦] من الذي جاء بعد عيسى عليه السلام ؟ هو نبينا محمد ﷺ ولوه أسماء كثيرة، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ هَادَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٤٦] فكيف يقارن بين اليهودية والنصرانية والإسلام ؟ فاليهودية والنصرانية بعد بعثة محمد ﷺ قد تُسخا بالإسلام، والإسلام هو دين الحق لم يبق دين غير دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، فمن لم يدخل في الإسلام ويؤمن بـ محمد ﷺ فهو كافر سواء كان يهودياً أو نصرانياً أووثنياً أو ملحداً، فكل من لم يؤمن بـ محمد ﷺ فهو كافر.

رهؤلاء يقيمون الآن مؤتمرات للتقريب بين الأديان ومع الأسف يؤيدهم من ينتسبون إلى الإسلام ويحضرون هذه المؤتمرات ويسمونها الحوار بين الأديان أو الحوار بين الحضارات وما أشبه ذلك، فهم لا يحضرونها من أجل أن يبطلوا شبه اليهود والنصارى وإنما يحضرونها ليتصالحوا معهم، ويكفيهم أن اليهود والنصارى يعترفون أن محمدًا ﷺ نبي ولو في الظاهر وهم لا يعترفون بعموم رسالته، فيكفرون بعموم رسالته، فكأنهم يقولون : ارضوا عنا ونرضى عنكم ، قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَبَعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] فهم يخادعون، فالواجب تكفيرهم والجزم بكفرهم وعدم التردد في كفرهم حتى يؤمنوا بعموم رسالة محمد ﷺ ويتبعوه قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ يَأْمُنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هل هم يتبعون النور الذي أنزل مع نبينا محمد ﷺ ، لا ، لا يتبعونه وإن قالوا إن محمدًا ﷺ نبي لكنهم لا يتبعونه فهم كفار بلا شك، قال ﷺ : « لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا دخل النار»^(١)، فيجب الجزم بكفر الكفار وفي مقدمتهم اليهود والنصارى وهم أشدًا كفراً لأنهم عصوا الله على علم وبصيرة، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لِيَكْثُرُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] فيجب على المسلم أن يعتقد كفر الكفار أيًّا كانوا، كل من أشرك بالله ودعا غير الله بأي نوع من أنواع الشرك الأكبر فيجب تكفيه بالحكم عليه بالكفر ولا يجوز الشك في كفره، ولا يجوز تصحيح ما هو عليه من الكفر فيقال هذا صاحب دين، هذا أحسن من

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الوثنيين فالكفر ملة واحدة .

نقول : من لم يؤمن بـ محمد ﷺ ولم يتبعه فهو كافر مهما كان، هذه عقيدة يجب على المسلم أن يعتقداها لئلا يخرج من الإسلام وهو لا يدرى، فيخرج من الإسلام بعدم تكفير الكفار أو تصحيح مذهبهم ، بأن يصحح ما عليه اليهود ، أو يصحح ما عليه النصارى ويقول : هم من أصحاب الأديان الصحيحة، بل هناك من ينتسب إلى الدعوة ويقول : إخواننا المسيحيون.

فنقول لهم : هؤلاء لم يؤمنوا، فلو آمنوا لاتبعوا محمداً ﷺ؛ لأن المسيح قال: ﴿يَسْبِّحُ إِسْرَائِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمَهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] فلم يؤمنوا بهذا ، بل إن المسيح إذا نزل في آخر الزمان فإنه يتبع محمداً ﷺ ويحكم بشرعية الإسلام، ويكون مجددًا من المجددين، ومن كفر النبي وأحد فهو كافر بجميع الأنبياء، فالواجب معرفة هذا الأمر ولا تنطلي هذه الشبهات التي تروج من اليهود والنصارى، فهم لا يريدون بقاء المسلمين على دينهم ولكنهم يريدون أن يجتذبوا المسلمين إلى دينهم هم قال تعالى : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] هذا كلام الله، وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥] أي عندهم أنه من لم يكن يهودياً أو نصرياناً فإنه ليس بهتد، هذا كلام الله أصدق القائلين، فكيف لا نكفرهم؟ وكيف نشك في كفرهم؟ نسأل الله العافية.

وقد كفر الله ورسوله ﷺ من أشرك بالله وعبد غير الله أياً كان، أو كفر النبي من الأنبياء ، أو جحد ركناً من أركان الإيمان الستة فإنه يحكم

بكفره ولا يتردد في ذلك ولا يشك فيه، ولا يصحح ما هو عليه، فيلتمس له الأعذار ، الدين ليس فيه مساومات وليس فيه تنازلات، فيجب التصریح به والبراءة من ضده.

ثم بعد أن نعلم وجوب تکفیر المشركين والکفار أیاً كانوا، وأن هذه عقيدة لا يصح الإسلام ولا يستقيم الدين إلا بها ولا يكون الناس عند المسلم سواء، بل يفرق بين الحق والباطل والمؤمن والکافر والموحد ، والمشرك كما فرق الله بينهم في الحكم .

فينبني على تکفیر الكفار أحكام كثيرة فذكر منها ما تيسر :

أولاً : أنه يجب بغض الكفار ومعاداتهم وعدم مواليتهم حتى ولو كانوا من أقرب الناس إلى المسلم، قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوا عَدُوّكُمْ أَوْلَيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيمَانَكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جَهَنَّمَ فِي سَيِّلٍ وَآبِشِغَاءَ مَرْضَانِي تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلُهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّيِّلُ﴾ إلى أن قال : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرُءُوا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَأَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [المتحنة : ١، ٣] وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة : ٢٢] وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهُ﴾ [آل عمران : ٢٥٦] دل على أنه لا يجتمع الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت، فإنه لابد من الكفر بالطاغوت أولاً

ثم الإيمان بالله، فيجب الكفر بالطاغوت ومعاداة الكفار وبغضهم ولو كانوا من أقرب الناس إلى المسلم، ولو كان الكافر أمه أو أباه أو أخيه، أو كان من قبيلته وعشيرته فإنه يبغضه ويترأ منه، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِيْ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَضَحَّبُ الْجَحِيمِ ﴾ وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهَا فَلَمَّا بَيَّنَ لَهُ أَنَّهُمْ عَدُوُّ اللَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيمٌ ﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبه: ١١٤] لما أنزل الله هذه الآيات تأسف أناس من المسلمين الذين كانوا يستغفرون لأبائهم من المشركين الذين ماتوا وخفوا من هذه الآية فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ فما كان قبل أن تنزل الآية وقبل أن يعلم المسلم تحريم ذلك فإنه لا يؤخذ عليه.

ثانياً : مما يترب على تكبير المشرك أنه إذا مات المشرك والكافر فإن المسلم لا يتولى جنازته إلا إذا لم يوجد من يدفنه من الكفار فإنه يوارى بالتراب ولا يدفن في مقابر المسلمين، فالمسلمون لا يتولون جنازة الكافر ، فلا يغسلونها ولا يكفنونها ولا يحملونها ولا يشيعونها ولا يحضرن دفنها ولا تدفن في مقابر المسلمين قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا تَقْمِ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَلَسِقُونَ ﴾ [التوبه: ١٤٨] فال المسلم لا يشيع جنازة الكافر ولا يجهزها ولا تدفن في مقابر المسلمين، وأما عيادة المريض من الكفار إذا كان من أجل دعوه إلى الله فإن المسلم يعود المريض الكافر ويدعوه إلى الله، فقد عاد النبي

يُهودياً ودعاه إلى الإسلام فأسلم وما ت على الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(١)، وعاد النبي ﷺ عمّه أبا طالب في مرض الموت وقال له : « يا عم ، قل لا إله إلا الله »^(٢) فإذا كانت عيادة المريض الكافر من أجل دعوته إلى الإسلام فلا بأس بها ، وأما إذا مات على كفره فإن المسلم لا يتولاه ولو كان أقرب الناس إليه ولو كان أباً ، ولما مات أبو طالب على الكفر لم يتوله^٣ الرسول ﷺ دفنه ولا تجهيزه بل أمر ابنه عليه أن يواريه في الأرض ولا يترك على ظهر الأرض لثلا يتآذى به الناس^(٤) .

ثالثاً : المسلم لا يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم لأن الله قطع الصلة بينهما ، فلا يتوارث المسلمون والكافار ، قال ﷺ : « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » وهذا في الصحيح عن أسامة بن زيد^(٥) ، وإنما يكون ميراث الكافر لأقاربه الكفار ولا يرثه أقاربه المسلمين ، فالكافر من موانع الإرث عند أهل العلم .

رابعاً : لا يجوز أن يُزوج الكافر من مسلمة خشية على دينها منه لثلا تكون تحت سلطانه قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَغْجَبْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١] وقال

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٦) ، وأبوداود (٣٠٩٥) ، والنمساني في الكبرى (٧٤٥٨) ، وأحمد (١٣٩٧٧) عن أنس بن مالك^٦ .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠) ، ومسلم (٣٩) من حديث المسيب بن حزن^٧ .

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢١٤) ، والنمساني (٢٠٠٦) وصححه الألباني .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٧٦٤) ، ومسلم (١٦١٤) من حديث أسامة بن زيد

تعالى : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ جِلْ لَهُمْ وَلَا هُنَّ
يَحْلُونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة : ١٠] فلا يجوز أن تتزوج المسلمة من كافر مطلقاً لا
يهودي ولا نصراني ولا وثنية، وأما تزوج المسلم من الكافرة فإن كانت
وثنية فإنه لا يجوز أن يتزوج بها قال تعالى : ﴿وَلَا تُنِكِّحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى
يُؤْمِنْ وَلَا أَمَّةٌ مُؤْمِنَاتٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكَاتٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُ
الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَلَّهُ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٢١] وأما
إذا كانت يهودية أو نصرانية فيجوز للMuslim أن يتزوجها بشرط أن
تكون عفيفة في عرضها وذلك لقوله تعالى : ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة : ٥] والمحصنات هن العفيفات من الزنا،
فالنصرانية التي تسافع أو تتخذ الأخدان لا يجوز للMuslim أن يتزوجها
ولأنما يجوز أن يتزوج اليهودية والنصرانية العفيفة في عرضها، لأن المرأة
تحت سيطرة الرجل، وربما تسلم وهي تحت سلطته فيكون السلطان
للMuslim على الكافرة بخلاف العكس فلا يكون السلطان للكافر على
المسلمة لقوله تعالى : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنَاتِ سَبِيلًا﴾
[النساء : ١٤١] فهذا هو التفصيل في التزاوج بين المسلمين والكافر، فإن
كانت المرأة وثنية أو ملحدة أو مرتدة فلا يجوز للMuslim أن يتزوجها
مطلقاً ، وأما إن كانت كتابية جاز بشرط أن تكون محصنة يعني عفيفة
عن الزنا لأنها تدخل تحت سلطة الرجل Muslim فتتاح لها الفرصة لأن
تسلم.

خامساً : ومن الأحكام المترتبة على تكبير الكفار والبراءة منهم

وجوب الهجرة على المسلم من بلادهم، فيجب على المسلم الذي لا يقدر على إظهار دينه أن يهاجر إلى بلاد المسلمين كما هاجر النبي ﷺ والصحابة فراراً بدينهم، ولا يبقى المسلم في بلاد الكفار إذا كان لا يقدر على إظهار دينه وهو يقدر على الهجرة، قال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِيَّ أَنفُسِهِمْ﴾ هؤلاء الذين تركوا الهجرة ﴿قَالُوا فِيمَا كُنُتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَنَهَا جَرُوا فِيهَا فَأَوْلَئِكَ مَا وَنَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فاؤلئك عسى الله أن يغفر عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴿[النساء: ٩٧-٩٩] فالذي لا يستطيع أن يهاجر فإنه معدور، ولكن الذي يستطيع فتجب عليه الهجرة، فلا يجوز له أن يقيم بين أظهر المشركين قال ﷺ : «أنا بريء من يقيم بين أظهر المشركين»^(١) فيجب على الذي لا يقدر على أن يظهر دينه أن يهاجر ، والهجرة قرينة للجهاد في سبيل الله عز وجل فجاء ذكرها مقرونة مع الجهاد قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ إِيمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢١٨]

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذى (١٦٠٤)، والنسائى (٤٧٨٠)، وقد رجح الترمذى فيه بالإرسال ونقله عن شيخه البخارى.

وقال العلامة المحقق إسحاق ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : «وهو إن صحيحاً مرسلاً فهو حجة من وجوه متعددة يعرفها علماء أصول الحديث، منها أن المرسل إذا اعتمد بشاهد واحد فهو حجة، وقد اعتمد هذا الحديث بأكثر من عشرين شاهداً، وتشهد له الآيات المحكمات مع الكلمات في الشرع وأصول يسلمها أهل العلم». اهـ. «سلوك الطريق الأحمد» (ص ٢٤) طـ. مكتبة المداية.

فالمجورة أمرها عظيم في الإسلام، وهي الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين فراراً بالدين.

سادساً : وما يترتب على تكفير الكفار عدم بدأءة المشركين والكافار بالسلام، قال ﷺ : « لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإن سلموا فقولوا : وعليكم » .

سابعاً : لا يُصدرون في المجالس ولا يُفسح لهم الطريق، قال ﷺ : « إذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه ^(١) فلا يمنعون من العبور والمرور ولكن لا يفسح لهم ويقدمون في المرور كما يفسح للمسلم ولكن يتذرون فيأتون من جوانب الطريق إهانة لهم لأن الله أهانهم .

ثامناً : عدم تمكينهم من دخول الحرم المكي قال الله تعالى : « يَتَأْيَهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ بَخْسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » [التوبه: ٢٨] فلما نزلت هذه الآية أرسل النبي ﷺ علياً بن أبي طالب ينادي في موسم الحج لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ^(٢) ، فمنعوا من دخول الحرم من ذلك

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٠٣)، ومسلم (٢١٦٧)، والترمذى (١٦٠٢)، وأبوداود (٥٢٠٥) من حديث أبي هريرة ر ، وأحمد (٧٥٦٧) ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

وأما لفظه « وإن سلموا فقولوا : وعليكم » فآخرجه مسلم (٢١٦٤)، والترمذى (١٦٠٣)، وأبوداود (٥٢٠٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة ر .

التاريخ ويستمر منعهم إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
نَجَّسُ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، وليس المقصود منعهم من دخول
المسجد الحرام فقط بل منعهم من دخول الحرم كله ﴿فَلَا يَقْرَبُوا
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ﴾.

تاسعاً: وما يترب على تكفير المشركين والكافار أنه يلزم ولـي الأمر
إخراجهم من جزيرة العرب ^(١); لأن جزيرة العرب منبع الرسالة
والدعوة فلا يجوز أن يبقى فيها دين آخر غير دين الإسلام، فلا يمكنون
من سكنى الجزيرة العربية بصفة دائمة، أما إن أتوا مسافرين لتجارة أو
لسفارة أو غير ذلك من المهمات أو استقدمهم المسلمون لعمل لا يحسنـه
غيرهم فلا مانع من ذلك، وإنما المنوع أن يمكنـوا من الاستقرار
والتملك في جزيرة العرب لأن النبي ﷺ قال عند موته : «أخرجوا
اليهود والنصارى من جزيرة العرب» ^(٢)، وقال ﷺ : «لا يبقى في

(١) قال شيخنا معلقاً هنا: وهذا من اختصاص ولـي أمر المسلمين فلا يجوز للأحادـ
الناس إخراجهم كما يقوله الآن الجهلة من الشباب ومن تأثر برأي الخوارج
فصاروا يقتلـون المعاهـدون والمستأمنـون ويفجرـون المـبـاني التي يسكنـها هؤـلاء
الكافـار المعاهـدون والمستأمنـون فيغـدرـون بذمة المسلمين وينـجـونـونـ العـهـودـ وقد
قال النبي ﷺ : (من قـتـلـ مـعـاهـداً لـمـ يـرـحـ رـائـحةـ الجـنـةـ).

(٢) ورد ذلك في جملة من الأحادـيث منها :

- عن ابن عباس رضي الله عنهما بـلـفـظـ : «أخرجـواـ المـشـرـكـينـ منـ جـزـيرـةـ
الـعـربـ» أخرـجهـ البـخارـيـ (٣٠٥٣ـ)، وـمـسـلمـ (١٦٣٧ـ)، وأـبـوـ دـاـوـدـ (٣٠٢٩ـ).
- عن عمرـ بنـ الخطـابـ بـلـفـظـ : «لـأـخـرـجـنـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ منـ جـزـيرـةـ =

جزيرة العرب دينان «^(١)فنفذ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصيانته فَأَخْرَجَ الْيَهُودَ والنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَجْلَاهُمْ، وَأَمَا إِذَا دَخَلُوا دُخُولًا مُؤْقَتًا لِمُهْمَةٍ مِنَ الْمُهَمَّاتِ أَوْ لِسَفَارَةٍ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فَلَا يُمْكِنُونَ مِنْ إِظْهَارِ شَعَائِرِهِمْ، وَلَا يُمْكِنُونَ مِنْ بَنَاءِ الْكَنَائِسِ فِي بَلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يَقْصُرُ أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ فِي أَمَاكِنِ إِقَامَتِهِمُ الْمُؤْقَتَةِ وَلَا يَظْهَرُونَ كُفُّرَهُمْ فِي بَلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَنْصِبُوا الصَّلِيبَ أَوْ يَدْقُوا النَّاقُوسَ، بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ مَدْهَةً إِقَامَتِهِمْ وَلَا يَظْهَرُ هَذَا فِي بَلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا لَيْسَ خَاصًا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بَلْ كُلُّ الْمُشْرِكِينَ عَبْدَةُ الْقَبُورِ وَغَيْرُهُمْ لَا يُمْكِنُونَ مِنْ بَنَاءِ الْأَضْرَحةِ، وَلَا يُمْكِنُونَ مِنْ بَنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقَبُورِ، فَيَجْبُ عَلَى وَلَاهُ الْمُسْلِمِينَ هَدْمُ هَذِهِ الْأَضْرَحةِ، فَكُلُّ مُشْرِكٍ لَا يُمْكِنُ مِنْ إِظْهَارِ شَرْكِهِ فِي

= العرب حتى لا أدع إلا مسلماً» أخرجه مسلم (١٧٦٧)، وأبوداود (٣٠٣٠). عن أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ «أَخْرَجُوا الْيَهُودَ وَالْحِجَازَ وَأَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» أخرجه أحمد (١٦٩١) و (١٦٩٤) وصححه الألباني.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٠٦٦) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ «لا يترك في جزيرة العرب دينان»، وأخرجه أبو عبيدة في الأموال (ص ١٠٧) رقم (٢٧٢) موقوفاً على عمر بلفظ «لا يجتمع»، ومالك في الموطأ (٨٩٢-٨٩٣ / ٢) عن ابن شهاب الزهري مرسلاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» قال مالك: قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» فأجلى يهود خيبر. وانظر: التمهيد (١٢ / ٣١١-٣١٣) ط. الفاروق الحديثة.

بلاد المسلمين .

عاشرًا : وما يترتب على تكفير المشركين والكافار عدم الثناء عليهم ومدحهم ؛ لأن الله تعالى ذمهم وهم أعداء الله ورسوله ﷺ فكيف تمدحهم؟ فبعض الناس يقول : عندهم أمانة، وعندهم حسن معاملة ويشفي عليهم ويقول : المسلمين عندهم خيانة وغش وكذا ، فنقول : المسلمين ولو كانوا عند بعضهم معاصرٍ وغش فهم أفضل أهل الأرض، أما الكفار فهم أعداء الله ورسوله ﷺ ولو كان لهم شيء من الصفات التي يتعاملون بها في دنياهم فلا يجوز مدحهم والله ذمهم، فإنما يجب علينا أن نذمهم لکفرهم بالله عز وجل .

حادي عشر : وما يترتب على تكفير المشركين والكافار : تحريم التشبه بهم في لباسهم وعوائلهم الخاصة بهم، والتشبه بهم في عباداتهم أشد، قال ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم »^(١) وهذا من فروع تكفيرهم ومعاداتهم؛ لأن التشبه بهم في الظاهر يدل على محبتهم في الباطن، ولو كان المسلم يبغضهم ما تشبه بهم، فيجب على المسلمين أن يعتزوا بدينهم ولا يتشبهوا بالكافار في ملابسهم وعوائلهم الخاصة وأشد من ذلك التشبه بهم في دينهم بأن نحدث في ديننا ما يُشبه ما عندهم من البدع مثل الموالد، هذا تشبه بالكافار الذين يحتفلون بموالد المسيح، فنحن لا نتشبه بهم في عاداتهم وعباداتهم وملابسهم الخاصة بهم .

بقي أن نعرف ما يجوز التعامل به معهم، هناك أحكام تجوز مزاولتها مع الكفار لأنها ليست من الموالاة وليس من المحبة وإنما هي

(١) أخرجه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥)، وأبوداود (٤٠٣١) وغيرهما ، وصححه الألباني والله أعلم .

من الأمور المباحة ومن المفاجع المشتركة، فيجوز لنا :

أولاً: أن نتعامل مع الكفار بالتجارة فنبيع ونشتري معهم .

ثانياً: وأن نستفيد من خبراتهم ونستأجرهم للقيام بأعمال ليس عند المسلمين من يقوم بها ، ولا نستأجرهم ونطلعهم على أمورنا الخاصة كأن نتذمّهم وزراء أو مستشارين وإنما نستأجرهم لأعمال يقومون بها وهم بعيدون عن سر المسلمين كالمباني والمصانع ، والنبي ﷺ استأجرو كافراً يدلّه على الطريق في سفر الهجرة فاستأجر عبد الله بن أريقط ليدله على الطريق لأنّه كان هادياً خريتاً^(١) ، فنستفيد من خبراتهم بشرط لا نمكّنهم من أسرارنا ومن بطانة أمرنا.

ثالثاً: ويجوز أن نعقد معهم المعاهدات إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين، فقد صالح النبي ﷺ اليهود في المدينة^(٢) ، وصالح المشركين في الحديبية^(٣) ، فإذا كان للمسلمين مصلحة أو أن المسلمين لا يستطيعون قتال الكفار فتجوز معاهدتهم ومهادنتهم ومصالحتهم لما في ذلك من مصالح المسلمين^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٤، ٢٢٦٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) انظر : زاد المعاد (١٢٦/٣).

(٣) أخرج قصة الحديبية مطولاً البخاري برقم (٢٧٣٢) و (٢٧٣١) عن المسور ابن خرمة ومروان، ومسلم (١٧٨٥) عن سهل بن حنيف، و(١٧٨٣) عن البراء ، و(١٧٨٤) عن أنس رضي الله عنهم .

(٤) فائدة: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٣٢٦/٦) : « وأما ما يتعلق بالجهاد فالموادعة فيه لا حد لها معلوم لا يجوز غيره بل ذلك راجع إلى رأي الإمام بحسب ما يراه الأحوظ والأحوط للمسلمين » . اهـ .

رابعاً: يجوز أن نكافئهم إذا أحسنوا إلينا، قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَئِنْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيرَكُمْ أَن تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨] فإذا فعلوا جميلاً مع المسلمين فالMuslimون يردون الجميل ويكافئونهم وليس هذا من باب المحبة وإنما هو من باب المكافأة ، والوالد الكافر يجب على ولده أن يبر به من غير أن يحبه، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَنَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفِصَلَهُمْ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرُ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴽ ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَيْكَ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لِكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهِمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [القمان: ١٤-١٥] فيجب على الولد أن يحسن إلى والده ولو كان كافراً لكن لا يحبه بقلبه ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَئِنْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢] فالمحودة شيء والمعاملة الحسنة شيء آخر ، وقد جاءت أم أسماء بنت أبي بكر وهي مشركة تطلب شيئاً من المال فجاءت أسماء رسول الله ﷺ فقالت له : إن أمي جاءت وهي راغبة - أي راغبة في الصلة - أفالصلها؟ قال : « نعم، صلي أملك »^(١)، فأمور الدنيا والمعاملات التجارية والمكافآت والتبادل بين المسلمين والكافار في المصالح التي لا تمس الدين ، وكذلك التمثيل дипломатический في السفارات لا بأس به، كان المشركون يرسلون إلى النبي ﷺ الرسل ويتفاوضون معه ويدخلون عليه وهو في المسجد فيتفاوضون معه، بهذه أمور ليست من الم الولاية وإنما هي من المصالح المباحة بين

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٩)، ومسلم (١٠٠٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم.

ال المسلمين والكفار ، فيجب أن نفرق بين هذا وهذا ، وبعض الناس يخلط بين ما يجوز وما لا يجوز ، فمنهم من يقول : تجوز مودة الكفار ، لأن الله أباح لنا التعامل معهم والتزوج من الكتابيات فتجوز محبتهم وعدم التفرقة بيننا وبينهم . فهذا مفرط ، وفي مقابلة المفرط الغالي الذي يقول : لا يجوز الاتصال بالكافر أصلًا لا بتجارة ولا بسفارة ولا بكافأة بالإحسان لأن هذا من الموالاة .

فنقول له : هذا ليس من الموالاة ، فيجب الفرق بين هذا وهذا ، بين الغالي والجافي ، فالدين وسط وليس فيه غلو ولا تفريط .

فيجب أن نعرف هذه العلاقات مع الكفار ما يجوز منها وما لا يجوز خصوصاً في هذا الزمان الذي كثر فيه من يتكلم في أمور الدين بغير علم ، أو يتكلم في الدين عن هوى ، فيجب على طالب العلم أن يعرف الحكم الشرعي في هذه الأمور ، وهذا أمر مهم لأنه يتعلق بعقيدة المسلم .



* الأسئلة :

سؤال : هل تكبير الكافر خاص بالكافر الأصلي أم الكافر المرتد ؟
جواب : نعم ، تكبير الكافر عام في الكافر الأصلي والكافر المرتد ، فكلهم يعاملون معاملة واحدة ، إلا أن الكافر المرتد يستتاب فإن تاب وإنما يقتل ، وأما الكافر الأصلي فتجوز معاهدته ، وأما المرتد فلا يترك لأنه أفسد العقيدة واعتدى عليها عندما عرف الحق فيجب قتله لأنه أصبح عضواً فاسداً .

سؤال : هل من شرك في كفر المشركين في قلبه ولم يتلفظ بلسانه

يُكفر؟ وما الفرق بين هذا وحديث النفس؟

جواب: الشك يكون بالقلب، فإذا تردد في المشركين هل هم كفار أم لا فإنه يرتد بذلك، وإن تلفظ بالأمر أشد، وأما حديث النفس من غير شك فإنه لا يضر.

سؤال : يوجد في القنوات الفضائية من يقول إن اليهود والنصارى إخواننا في الإيمان، فما حكم هؤلاء؟ هل يكفرون؟

جواب : من قال إن اليهود والنصارى إخواننا فإنهم يكفرون بذلك، إلا إذا كان القائل جاهلاً فإنه يُبيّن له فإن أصر فإنه يُحكم بـكفره، وأما إذا تاب تاب الله عليه.

سؤال : ما الضابط في تكبير المعين؟ ومنهم من يقول : لا تكفروا الشخص إن كان يهودياً بعينه حتى يتحقق لنا ما يكفره.

جواب : من أظهر الكفر فإنه يُحكم عليه بالكفر، ومن أشرك بالله يُحكم عليه بأنه مشرك، ولكن لا تجزم له بالنار، فأنت تحكم عليه بالكفر في الدنيا بموجب ما صدر منه، وأما في الآخرة فأنت لا تحكم عليه أنه من أهل النار، فقد يكون قد تاب وأنت لا تدرى، فالسائل قد خلط بين الأمرين : مسألة التكفير ومسألة الحكم بالنار على معين.



الدرس الخامس في شرح النافع الرابع

قال : الرابع : من اعتقد أن هدي غير الرسول ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذى يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر .

الشرح .

قال رحمه الله : الرابع - من نوافع الإسلام - : « من اعتقد أن هدي غير الرسول ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه... الخ » هذا يشتمل على مسائلتين:

المسألة الأولى : « من اعتقد أن هدي غير الرسول ﷺ أكمل من هديه » وهدي الرسول دينه وطريقته التي يسير عليها في دعوته إلى الله وفي تعليمه وفي أخلاقه، فإن الرسول ﷺ هو أكمل الناس هدياً كما قال الرسول ﷺ : « إن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ »^(١) فهو أكمل الناس هدياً من حيث معاملته مع الناس ومع المدعين، فكان هديه مع الناس أنه يعاملهم بأحسن المعاملة، ويدعوهم بأحسن طريقة، كما قال الله جل وعلا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ 』 [القلم: ٤] ، وقال تعالى : ﴿ فِيمَا رَحْمَتُ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظُلْمًا غَلِيظًا الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاءُرُهُمْ فِي الْأَمْرِ ۝ 』 [آل عمران: ١٥٩] فهذا خلقه ﷺ، كان يعلم الناس بأحسن طريقة، ما كان عليه الصلاة والسلام يستعمل الغلظة أو الغضب في التعليم كما في قصة الذي دخل وبال في المسجد فأمرهم أن يتركوه حتى يكمل بوله

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ثم أمر بذنوب من ماء فصبّ عليه ثم دعاه وقال له : « إن المساجد لم تُبنَ لذلك، وإنما بنيت لذكر الله عز وجل »^(١) وغير ذلك من الواقع التي يتعامل فيها ﷺ في تعليمه للناس بأحسن طريقة وأكمل هدي.

ومن ذلك أيضاً ما كان يتحمل من أذى الناس ولا يغضب إذا أسيء في حقه ﷺ، وكان يحمل على المسيء، أما إذا انتهكت محارم الله فإنه يغضّب لله، فإنه ما كان يغضّب لنفسه وإنما كان يغضّب لله، وهذا شيء ثابت عنه في سنته ﷺ^(٢).

وكذلك لما جاءه رجلٌ يتقدّم بذنبه ديننا فأغفله على النبي ﷺ في القول فهم الصحابة به فقال ﷺ : « دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً » ثم أمر ﷺ بأن يعطى خيراً مما له على النبي ﷺ فأعطاه زيادةً وقال : « خيركم أحسنتكم قضاءً »^(٣).

وكذلك هديه ﷺ في تعامله مع أهل بيته، كان ﷺ يتعامل مع أهل بيته خير المعاملة ، ويقول: « خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي »^(٤)، وهذا شيء معروف من سيرته فلا أحد يساوي الرسول ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٢١٩)، ومسلم (٢٨٤، ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت : « وما انتقم رسول الله لنفسه في شيءٍ قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها الله ». .

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٧٤٠٢) عن أبي هريرة، والترمذى (٣٨٩٥) عن عائشة واللفظ له. وقال الترمذى : هذا حديث حسنٌ غريبٌ) وصححه الألبانى رحمه الله.

في هديه، فكيف يكون خيراً منه ؟ فمن زعم أن أحداً أحسن من الرسول ﷺ هدياً فقد كفر الكفر الأكبر المخرج من الملة .

والمسألة الثانية : « من اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه فقد كفر »؛ لأن الرسول ﷺ مبلغ عن الله، فحكمه عليه الصلاة والسلام حكم صادر من الله - عز وجل - كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَنَا اللَّهُ ﴾ [النساء : ١٠٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤٩] فالرسول ﷺ إنما يحكم بحكم الله وبما أراه الله ولم يقل له : بما رأيت، بل قال : ﴿ بِمَا أَرَنَا اللَّهُ ﴾ فيجب تقبل حكمه ﷺ بالتسليم والانقياد، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] فهو ﷺ يقضي بحكم الله - عز وجل - ولو أخطأ في بعض الإجتهادات فإن الله لا يقره على الخطأ ، بل يبين له الصواب ولا يجوز الاعتراض على حكمه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخَيْرٌ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا لَمْ يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ وَمَا ءاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوَىٰ ﴿ ٤-٣ ﴾ [النجم : ٤-٣] فستنه ﷺ وحي من الله، والسنة تفسر القرآن وهي الوحي والمصدر الثاني بعد القرآن فيجب احترامها كاحترام القرآن ، ويجب قبولها كقبول القرآن، كما قال تعالى : ﴿ يَتَآتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴾ [الحجرات : ١] .

فيجب على المسلم أن يتلقى الأحكام من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ولا يحكم في شيء برأيه المجرد عن الدليل، أو استحسانه ، بل يتلقى الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولا يجوز له أن يقدم قول فلان على قول الله وقول رسوله ﷺ ، فمن فعل ذلك فقد قدم بين يدي الله ورسوله ﷺ .

ولا يجوز له أن يُعمل عقله وفكره، أو أن يقبل رأي غيره مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ويجب اعتقاد أن حكم الله ورسوله ﷺ هو الحق والصواب، وأن ما خالفهما هو الباطل، هذه عقيدة يعتقدها المسلم.

فمن اعتقد أن حكم المخلوق أحسن من حكم الله عز وجل ، أو أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه فقد كفر، وهذا من نواقض الإسلام .

مسألة الحكم بغير ما أنزل الله.

ومن زعم أن الوقت قد تغير، وأن حكم الكتاب والسنة كان في زمان قد مضى، وأن الحال في الوقت الحاضر يقتضي أن يؤتى بحكم يناسب الوقت الحاضر كما يقولون ، فهذه ردة عن دين الإسلام .

فالذي يرى أن حكم الشريعة لا يناسب العمل به في هذا الوقت وإنما يؤتى بأحكام وأنظمة تناسب الوقت - بزعمهم - فهذا كفر بالله عز وجل؛ لأن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة ويجب أن يعتقد هذا، فإن كان لم يتبيّن له صلاحيتها فهذا من نقصه هو ومن نقص إدراكه لا من نقص الشريعة.

وهناك من يقول : إن تطبيق الحدود ورجم الزاني وقطع يد السارق

وقتل المرتد إن هذه أحكام قاسية لا تتناسب مع هذا الزمان المتتطور الذي تطورت فيه أفكار الناس وعقولهم فلا يناسب أن تطبق الحدود، ولا أن يقام القصاص على القاتل لأنه وحشية، فهذه المقالات التي تصدر من بعض المنافقين ردة واضحة عن دين الإسلام؛ لأنها اعتراض على حكم الله واعتبار أن حكم الله قاصر وغير مناسب، فهذا رد صريحة عن دين الإسلام.

وكذلك من قال : إنه خير بين أن يحكم بالشريعة وأن يحكم بالقوانين، إن شاء حكم بالشريعة وإن شاء حكم بالقوانين؛ فالذي يقول هذه المقالة مرتد عن دين الإسلام؛ لأن حكم الله ليس فيه خيار من شاء أخذه ومن شاء تركه، بل حكم الله ملزم قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحْكُمْ بِيَنَّهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَبَيَّنُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩] فحكم الله ملزم، ولا يصلح الناس إلا حكم الله سبحانه وتعالى، فليس الأمر بال الخيار ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] فالحكم بما أنزل الله نوع من أنواع العبادة، فيجب على العباد كلهم أن يخضعوا لحكم الله جل وعلا، وأن يعتقدوا أنه لا شيء يساويه أو أفضل منه ، فلا يظن أحد أن الأمر بالختار وأن الناس أحجار كحرية الرأي وحرية التفكير وما أشبه ذلك مما ينادي به بعض الزنادقة والمنافقين والعلمانيين، فالذين يقولون هذه المقالة قد كفروا ؛ لأنهم لا يمثلون حكم الله - سبحانه وتعالى - ويتكبرون على حكم الله - عز وجل - .

وكذلك من يقول : إن حكم الله حق ولكن لا يلزم الالتزام به، ويجوز للإنسان أن يحكم بغيره وأن يتماشى مع الزمان إذا رأى المصلحة في ذلك، فهذا مرتد عن دين الإسلام، لأنه لا يجوز أن يحكم بغير ما

أنزل الله عز وجل . وكل حكم سوى حكم الله - عز وجل - فإنه باطل، وأيضاً ذلك لا يحل المشاكل بين الناس بل يزيد الإشكال إشكالاً، فإذا قلت لهذا: إن هذا حكم الله - جل وعلا - فلا يسعه إلا أن يقبل حكم الله ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١] أي لا خيار في حكم الله ورسوله ﷺ إن شئت قبلت وإن شئت لم تقبل! ولكن إن شئت أن تتنازل عن حملك فهذا شيء آخر، أما أن تقول ما أقبل، وأذهب إلى المحاكم القانونية ، فهذه ردة عن دين الإسلام.

وأما من اعتقد أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله وما جاء به الرسول ﷺ ولكنه خالفه لهوى في نفسه مع اعتقاد أنه فعل محظياً وحملته الشهوة والهوى على أن حكم بغير حكم الله ، أو حمله الطمع كان دفع إليه رشوة أو مال فحكم بغير ما أنزل الله طمعاً بالمال، وهو يعتقد أنه عاصٍ ومخالف لأمر الله ورسوله ﷺ .

أو حكم بغير ما أنزل الله طمعاً في منصبه وهو يرى أنه مخطئ وأن عمله هذا لا يجوز فهذا لا يكفر الكفر المخرج من الملة وإنما يكفر الكفر الأصغر، - كفراً دون كفر - كما يقول ابن عباس رضي الله عنهمَا^(١) ،

(١) أخرجه ابن جرير (٦/٣٠٦-٣٠٧)، وابن أبي حاتم (٤/١١٤٣)، والحاكم (٢/٣١٣) وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ». وأقره الذهبي، وهذا الأثر طرق كثيرة ثابتة عن ابن عباس وتلامذته طاؤوس وعطاء وغيرهم انظرها في تفسير ابن جرير . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد إثبات هذا الأثر عن ابن عباس وتلامذته : « وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة ». الإيمان ص ٢٤٤ ط. المكتب الإسلامي .

فهذا الذي يكون كفره دون كفر، من حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه لا أن يعتقد أن هذا يجوز أو أحسن من حكم الله أو أن هذا مساواً لحكم الله وإنما حمله هواه على هذا، أو أنه طمع في مال أو منصب فحكم بخلاف حكم الله ورسوله ﷺ من أجل هذا الذي صرفه من غير اعتقاد، وهذا يسمى كفراً عملياً وهو من الكفر الأصغر وهو كبيرة من كبائر الذنوب وخطير جداً، ولكن لا يحکم بأنه خروج من الملة لأن عقيدته باقية .

ومن حكم بغير ما أنزل الله نتيجة خطأ في الاجتهاد وهو أهل للإجتهاد ولم يتعمد مخالفة الكتاب والسنة ، فهو يريد الحكم بما أنزل الله ولكنه لم يوفق للصواب، فهذا كما قال النبي ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد »^(١) فخطوه مغفور لأنه لم يتعمد هذا الشيء وهو حريص على أن يحکم بالشريعة واجتهد يطلب الحكم الشرعي ولكنه لم يُوفق، وهذا يؤجر على اجتهاده ونيته ويغفر له لأنه لم يتعمد هذا الخطأ .

فهذه هي الأمور التفصيلية في هذا المسألة العظيمة، التي هي مشكلة العصر الآن.

وما يتعلّق بهذه المسألة أن الحكم بما أنزل الله ليس كما يفهم بعض الناس الذين يتسبّبون إلى الدعوة إنه الحكم في المنازعات المالية والحقوقية فقط ولا يطالبون إلا بهذا الشيء أن يحکم بما أنزل الله في المحاكم فقط ، نعم هذا حق يجب أن يحکم بما أنزل الله في الخصومات التي تجري في

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

الحاكم، وأن تحل الخصومات والمنازعات بين الناس بالشريعة لكن ليس الأمر قاصراً على هذا، بل يجب الحكم بما أنزل الله في العقائد التي هي أهم شيء، فأهم شيء العقيدة، والناس مختلفون فيها فلا بد أن يحكم بينهم بما أنزل الله فتبين لهم العقيدة الصحيحة من العقيدة الباطلة، أما أن يقال: دعوا الناس على ما هم عليه من العقائد ولا تنفروا الناس وكل له عقيدته، فهذا لا يجوز وهو كلام باطل، ومن أجاز أن يختار كل إنسان العقيدة التي يريد لها وأن الناس أحجار في الاعتقاد فهذا يرتد عن دين الإسلام.

فالواجب أن تكون العقيدة وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في توحيد الربوبية وفي توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الألوهية يجب الحكم فيه بما أنزل الله بأن العبادة لا تكون إلا لله، وأن عبادة ما سواه شرك أكبر يخرج من الملة، لابد من الحكم بهذا، وهذا هو الأساس، والنبي ﷺ لما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له : «فليكن أول ما تدعوههم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله »^(١) ما أرسله من أجل أنه يفصل الخصومات فقط، بل أرسله لكي يدعو إلى العقيدة ويصححها وهذا هو الامر الذي بدأت به الرسل فهي تبدأ بالعقيدة، وليس مرادهم حل الخصومات فقط بل تبيان العقيدة الصحيحة ويحكم على من خالف العقيدة الصحيحة أنه كافر وشرك: من عبد غير الله من ذبح لغير الله من نذر لغير الله من استغاث بالأموات فهل يترك هذا ولا يحكم عليه بما أنزل الله ؟ وإن

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

تخاصم مع أحد في شأة يقال احکموا بينهما بما أنزل الله واتركوه على عقیدته وإن كان مشركاً ، فهذا لا يجوز ، لابد من الحكم بما أنزل الله أولاً في العقيدة .

وكذلك الحكم في الأسماء والصفات فيحكم على الجهمية والمعزلة والأشاعرة والماتريدية والخوارج والمرجئة بما أنزل الله ويبين بطلان عقائدهم وأما توحيد الربوبية فلا نزاع فيه، أما أن يقال : اتركوا الناس على عقائدهم فهذا أمر باطل ومنكر، وهذا مخالف لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام خصوصاً نبينا محمد ﷺ .

والأسماء والصفات قد حصل فيها نزاع بين الطوائف، بين أهل السنة والجهمية والمعزلة والأشاعرة والماتريدية فلابد من أن يحل هذا النزاع الذي حصل بين هذه الطوائف بأن يرجع إلى كتاب الله ويحكم بما أنزل الله عز وجل ويبين صواب المصيبة وخطأ المخطئ، ولا يترك الناس بدون بيان وبدون حكم، وحكم الله شامل في العقيدة وفيما دونها .

وكذلك لابد من تحكيم الشريعة في العبادات لأن هناك عبادات تتمشى على الكتاب والسنة ، وهناك عبادات محدثة ليس لها أصل في الكتاب والسنة فهذه بدعة يجب بيان بطلانها، وقد بينه عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ وفصل فيه فقال : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١) ، وقال عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ : «ولايكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله»^(٢) فلابد من تطبيق حكم الله عز وجل في العبادات، فما وافق الكتاب والسنة فهو صحيح، وما خالف الكتاب والسنة فهو باطل، ولا يجوز

(١) تقدم تخریجه .

(٢) تقدم تخریجه .

التساهل في هذا الأمر والتغاضي عنه وأن يقال اتركوا الناس لا تنفروهم. فنقول : نحن لا ننفر ولكننا نريد الخير للناس، ونريد أن يرجعوا إلى الصواب وإلى الحق لأن هذا أصلح لهم في دنياهم وأخرتهم وهذا هو الاجتماع الصحيح ، وأما إذا تركناهم على ما هم عليه من بدعة وشرك وتعطيل لأسماء الله وصفاته فهذا غش للأمة ، والنبي ﷺ يقول : « الدين النصيحة » قلنا : من يا رسول الله ؟ قال : « الله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(١) .

وكذلك التحاكم إلى الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله أمر بطاعته ونهى عن معصيته، فكون الناس يتذرون ولا ينكرون عليهم ولا يؤمرون ولا ينهون بهذا من تعطيل حكم الله تعالى، قال ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »^(٢) .

فحكم الله يأتي أيضاً في أمور المخالفات التي هي دون الشرك والكفر فلا بد من بيان حكم الله فيها، ويبين ما هو طاعة وما هو معصية، وما هو معروف وما هو منكر، ويلزم بذلك ، ويؤخذ على يد المخالف حتى يسلم المجتمع من الهلاك، أما إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا سبب هلاك المجتمع جائعاً الصالح والطالع، فالناس إذا رأوا المنكر

(١) أخرجه مسلم (٩٥) وأبوداود (٤٩٤٤) . من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري روى ثقة .

(٢) أخرجه مسلم (٧٨)، والترمذى (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وابن ماجه

(١٢٧٥) من حديث أبي سعيد الخدري روى ثقة .

ولم يغروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده.

فالحكم بما أنزل الله عام وليس خاصاً بسائل المنازعات والخصومات في الأموال فقط كما يظن بعض الناس، وأما أمور العقائد فالناس يتذرون كل يختار ما يريد ويبقى على ما يريد فهذا أمر عظيم وخطير جداً . فحكم الله شامل لكل هذه الأمور وما هو أكثر منها.

ويجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله وهذا من أعمالهم، وأن يلزموا الناس بحكم الله قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدِّوَا الْأَمْرَتَ إِلَيْنَ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُعِظُّكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] هذه في الحكام، وفي المحكومين الآية التي بعدها مباشرةً قال تعالى : ﴿ يَتَآتِيهَا الَّذِينَ مَاءْمَنُوا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] وهذه في المحكومين، فيجب عليهم أن يتحاكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فيجب على الحكام أن يحكموا بشرع الله ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى شرع الله ولا يجوز أن يتحاكموا إلى الطاغوت والقوانين قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَيَ الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ مَاءْمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكِمُوا إِلَيَ الْطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَيْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَيَ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٢﴾ [النساء : ٦٠-٦١] وسبب نزول هذه الآية كما هو معلوم أنه حصلت خصومة بين رجل من المنافقين الذين يزعمون أنهم مسلمون وبين

يهودي، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد - لعلمه أنَّ مُحَمَّداً لا يأخذ الرشوة - . وقال المنافق : نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي . لأنَّه يأخذ الرشوة، مع زعمه أنه مؤمن، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكِمُوا إِلَى الظَّاغُوتِ ﴾ وهو كعب بن الأشرف^(١) وغيره من يحكم بغير ما أنزل الله ، فكل من حكم بغير ما أنزل الله متعمداً فهو طاغوت، والطاغوت من الطغيان وهو الخروج عن الحق ﴿ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَفِّقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فيحكِّمون الرسول ﷺ في حياته ويحكِّمون ما جاء به من الكتاب والسنة

(١) أخرجه ابن جرير (٥/١٨٥)، وابن أبي حاتم (٣/٩٩١) رقم (٥٥٤٨) و(٥٥٤٩) من مراضيل الشعبي والسدلي ومجاهد .

وقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥/١٢٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٤٧) وصححه الشيخ أحمد شاكر في اختصار ابن كثير (١/٥٣٢) ط. طيبة. وقال الم testimي في مجمع الزوائد (٦/٦) : « ورجاله رجال الصحيح » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان أبو بربعة الأسلمي كاهناً يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتناهى إليه ناس من المسلمين فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا تَرِكَ الظَّاغُوتَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ ﴾ إلى قوله : « إِنَّ أَرْدَنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا » وهذا أصح من الأول. وإذا صح الأول بشواهد فلا مانع من تعدد أسباب النزول للأية كما هو مقرر في أصول التفسير .

بعد ماته ، ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

فيجب على المسلمين حكاماً ومحكومين أن يحكموا وأن يتحاكموا إلى شرع الله سبحانه وتعالى ، ولا يستبدلوه بغيره، ولا يقول الحكام : نحن نخشى من الدول الكبرى، وهذا شيء يفرضونه علينا، فهذا لا يجوز؛ لهم لأنهم مسلمون يجب عليهم التزام الإسلام فعندهم في الأعراف الدولية: أن لا تتدخل دولة في شأن دولة أخرى في سياساتها الداخلية، هذا في حكمهم هم، أما حكم الله عز وجل فإنه لا طاعة لخلوق في معصية الخالق، لكن إذا رجعنا إلى أنظمتهم وجدنا أنه لا يجوز عندهم أن تتدخل دولة في أنظمة دولة أخرى وشؤونها الداخلية، فكيف يقول هؤلاء : نحن مفروض علينا ؟ فهذا لا يجوز أبداً للحاكم المسلم أن يخضع لغير حكم الله سبحانه وتعالى ، الله جل وعلا يقول لنبيه ﷺ : ﴿وَإِنْ أَخْكُمْ بِيَنَّهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذِرُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ﴾ وهذا خطاب يشمل كل حاكم من حكام المسلمين بعد الرسول ﷺ .

فمسألة الحكم بما أنزل الله مسألة عظيمة وفيها تفاصيل كما ذكر أهل التفسير، فلا يطلق الكفر على كل من حكم بغير ما أنزل الله بل يفصل في هذا بين من يرى أن حكم غير الله أحسن أو أنه يساوي حكم الله أو أنه خير فهذا يحكم عليه بالكفر المخرج من الملة، أما من كان يرى أن حكم الله هو اللازم وهو الحق ولكن خالفه لهوئ أو لرشوة أو لطمع دنيوي فهذا يحكم عليه بأنه كفر دون كفر، وأن هذا فسق قال تعالى :

﴿وَمَنْ لَّهُ يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ﴾ في حكم عليه بالفسق ونقص الإيمان ، وهذا الناقض الرابع من نوافع الإسلام التي ذكرها الشيخ رحمه الله يتضمن مسألة مهمة وهي مشكلة العصر الآن، نسأل الله عز وجل أن يوفق ولاة أمور المسلمين للحكم بما أنزل الله، وأن يوفق المخالفين لذلك بأن يرجعوا إلى الحق والصواب .

* أسئلة :

سؤال : ما حكم من قال : نحن أعلم بمصالح الدعوة من الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

جواب : هذا كلام باطل وكفر ، وهذا تجاهيل للرسول ﷺ ، هذا يدخل في الشق الأول وهو قول الشيخ : « من اعتقد أن هدي غير الرسول ﷺ أكمل من هديه فهو كافر » .

سؤال : في قول الله تعالى : ﴿فَلَا وَرِبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ نفي الإيمان في هذه الآية إلا يدل على الكفر بنوعيه من غير استثناء سواء اعتقد أو لم يعتقد ؟

جواب : قد يكون هناك عذر، والأصل أنهم لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ولكن قد يكون هناك أشياء تدرأ عنهم الكفر، مثل ما فصل العلماء .



الدرس السادس في شرح الناقد الخامس

قال الشيخ رحمه الله : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر .

الشرح .

قال الشيخ رحمه الله : « من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر » والدليل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٩] أي أبطلها، فدل على أن بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ ردة عن الإسلام وأنه يحيط العمل، وذلك أن أصول الإيمان وأركانه : الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره فمن نقص شيئاً منها لم يكن مؤمناً، والمراد بقوله : ﴿ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ يشمل القرآن ويشمل السنة التي جاء بها الرسول ﷺ ، فالذى أنزل الله على قسمين :

القسم الأول : القرآن وهذا هو الوحي الأول والمصدر الأول من مصادر الإسلام .

القسم الثاني : السنة التي جاء بها الرسول ﷺ لأنها وحي من الله جل وعلا . والله جل وعلا يقول عن نبيه محمد ﷺ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٤-٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ أَرَسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَنُكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ هُوَ ﴾ [الحشر: ٧] فالسنة هي الوحي الثاني والمصدر الثاني من مصادر الإسلام .

فمحبة الله عز وجل ومحبة ما أنزله أعظم أنواع العبادة ، ثم محبة الرسول ﷺ ومحبة سنته، فمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ يقتضي محبة ما جاء عن الله ورسوله ﷺ ، وبغض شيء مما جاء عن الله أو جاء عن الرسول ﷺ يقتضي بغض الله جل وعلا أو بغض الرسول ﷺ فهذا ردة وكفر بالله - عز وجل - .

فالواجب على المسلم أن يحب ما جاء عن الله من القرآن ويحب ما جاء عن الرسول ﷺ من السنة تبعاً لمحبة الله ورسوله ﷺ ومحبة هذا الدين، فإن كره شيئاً من ذلك فهذا دليل على عدم إيمانه .

وقوله : « ولو عمل به » أي فإنه لا يكون مؤمناً؛ فإن المنافقين لما كانوا يبغضون الله ورسوله ﷺ وكانوا يبغضون الوحي المنزل ولا يريدونه كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦١] لماذا يصدون ؟ لأنهم يبغضون الكتاب والسنّة وإن كانوا يعملون بهما في الظاهر ولكن يبغضون ذلك بقلوبهم وعملهم في الظاهر لا يفيد شيئاً لأنه تقية وجنة وإنما فهم في قراره أنفسهم يبغضون القرآن والسنّة؛ وهذا حكم الله عليهم بکفرهم وأنهم في الدرك الأسفلي من النار، مع أنهم يعملون في الظاهر بالكتاب والسنّة لكن لما كانوا يبغضون ذلك في قلوبهم صاروا كفاراً أشد الكفر وعداهم أشد العذاب ، فهم في الدرك الأسفلي من النار .

أما الكفار الأصليون : فهم من الأصل يبغضون الرسالات والكتب

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِءَابَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤] قالوا يكفيانا ما وجدنا عليه أباءنا من العادات والأحكام الجاهلية، وفي الآية الأخرى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَسْعَ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِءَابَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠].

فالذين يبغضون ما أنزل الله - عزوجل - على فريقين :

الفريق الأول : الكفار الأصليون، وهذه مقالتهم .

الفريق الثاني : الذين يدعون الإسلام وهم المنافقون وقد تقدمت
مقالتهم .

أما المؤمنون : فإنهم يحبون ما جاء عن الله ورسوله ﷺ ؛ ولذلك قال تعالى عنهم : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٥١] يقولون : سمعنا وأطعنا لأنهم يحبون ما جاء عن الله ورسوله ﷺ ، ولا يجدون في أنفسهم حرجاً من حكم الله وحكم رسوله ﷺ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يَجِدُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] أي لا يجدون في أنفسهم وقلوبهم حرجاً، فلا يكتفون بالانقياد الظاهري بل ينقادون ظاهراً وباطناً، ويحبون حكم الله وحكم رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ فلا يعترضون على حكم

الله ورسوله ﷺ لأنهم يعلمون أنه الحق والعدل، وأن عاقبته حميد، فهم لا يقدمون شيئاً على حكم الله ورسوله ﷺ ولو خالف أهواءهم ورغباتهم فهم يتذمرون آراءهم ورغباتهم ويقبلون حكم الله ورسوله ﷺ لأنهم يعلمون ما فيها من الخير آجلاً وعاجلاً، هؤلاء هم المؤمنون إذا بلغهم حكم الله ورسوله ﷺ فإنهم لا يريدون بهما بديلاً أبداً ولا يؤثرون على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أي مصدر أو أي حكم، هذه هي صفة المؤمنين، ولذلك تجدهم يحرصون ويقبلون على تعلم الكتاب والسنّة ويتحملون التعب والمشقة لأنهم يحبون الكتاب والسنّة، ويألفون الكتاب والسنّة ويحبون ويشتاقون إلى الكتاب والسنّة أشد مما يشتاقون إلى الطعام والشراب لما في قلوبهم من المحبة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بخلاف المنافقين فإنهم ينفرون من الكتاب والسنّة وتعلمهما، أو يقرأون القرآن بالسنتهم فقط، وينفرون من سنة الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْلَا رُؤْسَهُمْ وَرَأْيَتُهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٥] هذه علامة على أنهم يبغضون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

ولا فرق كما ذكرنا بين كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لأنهما من عند الله ، وإنما يفرق بين القرآن والسنّة أهل الضلال الذين يقولون : لا تقبل إلا القرآن، لأن القرآن لا يتطرق نقله احتمال أو شك خلاف السنّة فإنه يتطرق إلى أسانيدها الشك عندهم، وأما عند المسلمين فإنه لا يتطرق إليها الشك لأنها من روایة الثقات الأئمّات الحفاظ الذين نقلوها

بأمانة فهم لا يشكون في أحاديث الرسول ﷺ وأنها من عند الله عز وجل، وأما أهل النفاق والذين في قلوبهم نقص إيمان كالخوارج والمعزلة وسائر الطوائف فإنهم يشكون في السنة ، بعضهم يشك في أحاديث الأحاداد، وبعضهم يشك في السنة كلها ولا يرى لها مكانة ويقولون: يكفينا القرآن، وبعضهم يشك في بعض السنة فيقول لا تقبل إلا المتواتر من السنة ويردون أخبار الأحاداد ويقولون إنها تفيد الظن، وأما أهل الحق فإنهم يقولون : ما صح عن الرسول ﷺ سواء كان متواتراً أو آحاداً فإنه يفيد العلم واليقين ويحتاجون به في العقائد والعبادات والمعاملات؛ لأنهم لا يشكون فيه، وأما أهل الضلال فإنهم يقولون إن أخبار الأحاداد لا يحتاج بها في العقائد لأنها تفيد الظن بزعمهم والعقائد تبني على اليقين.

ومن العجيب أنهم يبنون عقائدهم على علم الكلام وعلم المنطق ويقولون: إنهم يفيدان اليقين، وكلام الله لا يفيد اليقين عندهم ! والسنة لا تفيد اليقين عندهم ! هذا من الضلال والانتكاس .

أما أهل السنة والحق فيقولون : ما صح عن النبي ﷺ فإنه يفيد اليقين والعلم ويحتاج به في العقائد والعبادات والمعاملات ، لا فرق في ذلك، هذه طريقة أهل السنة والجماعة .

والحاصل : أن الذي يكون في قلبه بغض لشيء مما جاء به الرسول ﷺ فإن هذا دليل على نفاقه وعلى عدم إيمانه وإن كان يدعى الإيمان وإن كان يعمل بهذه الأحاديث ظاهراً ما دام أنه يبغضها بقلبه فإن هذا ناقض من نواقض الإسلام، وفي هذه الآية الدليل على ذلك قال سبحانه وتعالى :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحَبَّطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩-٨]، وفي آخر السورة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحَبَّطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨] هذا هو السبب، فهذا ناقض من نوافع الإسلام أن يبغض الإنسان شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ.

وقوله « شيئاً » يعني أنه ليس لازماً أن يبغض كل ما جاء به الرسول ﷺ ولكن لو أبغض شيئاً منه كبعض الأحاديث الصحيحة الثابتة فإنه يحيط عمله وينقض إسلامه . والنبي ﷺ يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » والحديث صحيحه الإمام النووي في الأربعين، وتتكلم عليه بعض العلماء كالحافظ ابن رجب رحمه الله^(١)، ولكن تشهد له الآية ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحَبَّطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ فلم يكن هواهم تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ فلذلك أحبط الله أعمالهم فالآية تشهد للحديث .

وفي وقتنا الحاضر كثيرون يكره السنن الثابتة عن النبي ﷺ إذا خالفت أهواءهم وما يشتهونه، ومن ذلك مسائل المعاملات مثل الربا الذي فشا في الناس اليوم، فإذا قلت لهم : هذا ربا والله ورسوله ﷺ حرم الربا تجد عندهم تكرهاً وترضاها من ذلك، وإن كانوا لا يصرحون أو بعضهم يصرح، فيكرهون ذلك ويترضاون ويقولون : العالم كله على هذا، هذا اقتصاد عالمي، أنتم تختلفون العالم، وهذه ردة عن دين الإسلام إذا كره

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢ / ٣٩٣) ط: مؤسسة الرسالة.

النصوص التي تحرم الربا والقمار والميسر والمعاملات المخالفة للأدلة، فإذا وجد في نفسه شيئاً من كراهة تحريها فإن الله يحيط عمله حتى ولو كان يعمل بها ظاهراً، فالخطر شديد وعلى المسلم أن يتفقد نفسه ويحفظ لسانه، وأن يدور مع الحق أينما دار، ولا يدور مع هواه وشهوته.

وفي قضيائنا المرأة : لما كان الإسلام قد وضع ضوابط للمرأة تخالف ما عليه المرأة في أمم الكفر والإباحية ، صار كثير من يدعون الإسلام يكرهون الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة، ومن ذلك مناداتهم بمساواة المرأة بالرجل في الميراث والأعمال وفيما هو من خصائص الرجال، ولا يريدون أن يكون بين الرجل والمرأة فارق أبداً ، لأن الغرب سروا النساء مع الرجال ، أو قدموا النساء على الرجال، فهم يريدون أن يلحقوا بركب الغرب الكفرة ، ولا يريدون أن يتميز النساء عن الرجال فيما يخص النساء، ولا يريدون أن يكون ميراثها نصف ميراث الرجل، ولا يريدون أن تكون ديتها نصف دية الرجل، لا يرضون أن تكون شهادتها على النصف من شهادة الرجل كما جاء به الشرع المطهر والله خلق المرأة والرجل وهو أعلم سبحانه وتعالى بما يليق بالرجل والمرأة .

ومن ذلك الحملة الشنيعة على الحجاب والتنديد به وبأدلة الشرع التي جاءت بالحجاب، وإن استطاعوا تضعيتها لم يألوا جهداً ، ولما لم يستطيعوا ذلك راحوا يؤولونها ويفسرونها على غير تفسيرها، وعلى غير مراد الله ورسوله ﷺ ، أليس هذا من كراهة ما أنزل الله على رسوله ﷺ؟ وهذه من الأمور التي حدثت الآن في المجتمع وظهرت في مقالاتهم ومحادلاتهم ومحاوراتهم، لا يريدون أن يفرقوا بين مافق الله ،

والله تعالى فرق بين المؤمنين والكفار، وفرق بين المؤمنين واليهود والنصارى ، وهم يقولون : لا فرق بين المؤمنين واليهود والنصارى، كلهم مؤمنون.

واليهود والنصارى أهل كتاب و لهم أحكام خاصة لكن لا يسوون بالمؤمنين ولا يسوى دين النصارى واليهود بدين الإسلام، دين الإسلام هو الحق وحده ، فلا يسوى به دين اليهود والنصارى وإن كانوا لهم أحكام خاصة يمتازون به على الكفرة الآخرين ولكن ليس معنى هذا أن نسوى دينهم بدين الإسلام، فمن سوى دين اليهود والنصارى بدين الإسلام فهو كافر .

وهم لا يريدون أن تذكر الآيات التي في الولاء والبراء والتي أنزلها الله في القرآن ، ولا يريدون أن تذكر الآيات التي تتكلم عن اليهود والنصارى وتذمهم وتلعنهم وتبين مذاهبهم ومخاذيهم، والآيات التي تأمر ببغض اليهود والنصارى لا يريدون أن يسمعوها. أليس هذا من كراهة ما أنزل الله على رسوله ﷺ ؟ هذا أمر شديد جداً ، قال الله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحَبَطْتُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨] فالواجب على المسلم أن يتقي الله ، ولا يداهن الكفرة واليهود والنصارى ، لا يداهنهما في دين الله عز وجل ﴿وَدُّوا لَوْلَهُنْ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] ، وقال تعالى : ﴿أَفِهِنَّذَا الْحَدِيثُ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١] لا تجوز المداهنة في دين الله، أما أنا نتعامل مع اليهود والنصارى والكافر بموجب ما جاء في الكتاب والسنة فهذا حق ، أما أنا نساويهم بال المسلمين فهذا باطل، قال تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ

النَّارِ وَأَصْحَبُ الْجَنَّةَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَارِئُونَ ﴿٢٠﴾ [الحشر: ٢٠] ، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْتَرُهُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ إِيمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] ، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ إِيمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ﴾ [ص: ٢٨] فلا يجوز هذا أبداً، فالله جل وعلا أنزل القرآن بالفرق بين المؤمن والكافر سواء كان وثنياً أو دهرياً، أو نصرانياً، أو يهودياً، فيجب أن ننزل الناس منازلهم ولا تأخذنا في الله لومة لائم، ولا شك أن محنة القرآن ومحنة السنة هي الإيمان.

كان رجل في عهد النبي ﷺ يصلّي بأصحابه وكان يقرأ في كل ركعة سورة الإخلاص ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فسأله عن ذلك فقال : أنا أحبها لأنها صفة الرحمن . فقال له النبي ﷺ : « إن حبك لها أدخلك الجنة » ، وفي رواية : « أخبروه أن الله يحبه »^(١) فالذي يحب القرآن فيه

(١) هذا المذكور أعلاه بمجموع حديثين :

الأول: عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً بعثه رسول الله ﷺ على سرية .. فذكرته وفيه: فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: « أخبروه أن الله يحبه ». أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

والثاني: عن أنس أن رجلاً من الأنصار كان يؤمّهم في مسجد قباء .. فذكره، وأنه كان يقرأها في كل ركعة وفيه: قال: إني أحبها . فقال ﷺ: « حبك إياها أدخلك الجنة ». أخرجه البخاري (٧٧٤) تعليقاً ووصله الترمذى (٢٩٠١) وقال: « هذا حديث حسن غريب صحيح ». والله أعلم .

إيمان وهذا يدخله الجنة، والذي يكره القرآن أو السنة لأنّه يخالف شيئاً من هواه فإنه يحيط عمله وإن كان لا يتكلّم، فكيف إذا تكلّم وأنكر؟ فالأمر أشد.

وكذلك الذي يكره الكتاب والسنة ، لأنهما يخالفان مذهبه أو مذهب من يقتدي به فهو يكره أن تذكر له الدليل من الكتاب والسنة لأنه يخالف مذهبه، وهو يحب مذهبه أكثر من الكتاب والسنة فإذا وقعت في قلبه كراهة لما جاء في الكتاب والسنة فهذا دليل على عدم إيمانه وهذا يحيط عمله ، لأن المؤمن لا يقدم على كتاب الله وسنة رسوله شيئاً، لا يقدم عليها شهوة أو مذهبًا أو متبعاً بل يقدم الكتاب والسنة على كل شيء ، ولو خالف شهوته وهوه ومذهبه ومذهب من يقلده ، المسلم لا يعدل بالقرآن والسنة شيئاً ، قال الإمام الشافعي رحمه الله : أجمع المسلمين على أنه من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .^(١)

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهم للصحابية رضي الله عنهم:
يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم : قال رسول الله،
وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟^(٢).

(١) ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين (٢٨٢/٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣١٢١) بنحوه وصححه أحمد شاكر رحمه الله ، وأخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه رقم (٣٧٩ و ٣٨٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم (٢٣٧٨) وأسناده صحيح بلفظ « أراهم سيهلكون؛ أقول : قال النبي ﷺ، ويقولون : نهى أبو بكر وعمر ؟ » وهذا لفظ =

فإذا كان تقديم قول أبي بكر وعمر رضي الله عنهم على قول رسول الله ﷺ يوشك أن ينزل بسببه حجارة من السماء ، فكيف من يقدم مذهب فلان أو علان من سائر الناس على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا خالفت مذهبه أو مذهب شيخه فإنه يقف موقف المعادي ولا يريدها . نسأل الله العافية، وينخشى أن يكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَإِذَا تُلَأَّ عَلَيْهِمْ أَيَّتَنَا بَيْتَنَا تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الظِّلِّينَ كَفَرُوا أَمْنَكَرُوا ﴾ [الحج: ٧٢] .. لماذا؟ لأنهم يبغضون آيات الله عز وجل . فالخطر شديد في هذا الباب . وهذا الناقض خطير شديد وهو خفي في الضمائير والآفونس فعلى المسلم أن يتفقد نفسه مع هذا الناقض لثلا يكون فيه شيء منه، أو يبغض شيئاً مما جاء عن الرسول ﷺ إما لمخالفته لشهوة نفسه أو مخالفه مذهبه أو مخالفة حزبه أو إمامه ، فهذا على خطر عظيم .

فتبيين من هذا أنه يجب على المسلم أن يوقر ويحترم كتاب الله عز وجل وأحاديث الرسول ﷺ، وأن لا يقدم عليهما شيئاً من الأراء والمذاهب ، والرغبات ، والشهوات ، هذا هو مقتضى الإيمان ، وأن يحب كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويبغض ما يخالف كتاب الله ويفالف سنة رسول الله ﷺ ، هذه علامة الإيمان والاتباع والاقتداء ، والله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب وأنزل السنة وأمرنا باتباع الكتاب والسنة ونهانا عن مخالفتهما، فالذي يريد النجاة والدار الآخرة عليه أن يتمسك بالكتاب ، والسنة حتى لو خالف ذلك ما يريد ويشتهيه فإن

العاقبة حميدـة، والله جـلـ وعلا حـكـيم عـلـيـكـ يـحـرـم عـلـيـكـ هـذـا الشـيـء وـانـ
كـنـتـ تـمـيلـ وـتـرـغـبـ فـيـهـ وـلـكـنـ اللهـ أـعـلـمـ بـالـمـالـ وـالـعـاقـبـ قـالـ تـعـالـىـ :
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىَ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ وَعَسَىَ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] يكرهون القتال
لـما فـيـهـ مـشـقـةـ وـاجـرـحـ وـالـقـتـلـ وـالـخـطـرـ كـراـهـةـ نـفـسـيـةـ لـاـ كـراـهـةـ دـينـيـةـ،
لـأـنـ النـفـوـسـ تـكـرـهـ الـجـرـحـ وـالـقـتـلـ ﴿وَعَسَىَ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ وَعَسَىَ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
[البقرة: ٢١٦] فالـمـسـلـمـ يـعـلـمـ أـنـ مـاـ حـكـمـ اللـهـ بـهـ أـوـ حـكـمـ بـهـ الرـسـولـ ﷺ
فـإـنـهـ هـوـ الـخـيـرـ عـاجـلـاـ أـوـ آـجـلـاـ، وـلـوـ كـانـ يـظـهـرـ لـهـ أـنـ فـيـهـ مشـقـةـ أـوـ مـخـالـفـةـ
لـهـوـيـ نـفـسـهـ فـإـنـهـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـخـيـرـ فـيـمـاـ قـالـ اللـهـ وـرـسـولـهـ ﷺـ وـلـاـ يـقـدـمـ
عـلـيـهـمـاـ شـيـئـاـ وـلـاـ يـقـدـمـ رـأـيـهـ ، قـالـ تـعـالـىـ : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ
يَدِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ [الحجرات: ١] ، وـعـمـرـ
يـقـوـلـ: يـاـ أـيـهـاـ النـاسـ اـتـهـمـوـاـ الرـأـيـ فـيـ الدـيـنـ، فـلـوـ رـأـيـتـنـيـ يـوـمـ أـبـيـ جـنـدـلـ
أـنـ أـرـدـ أـمـرـ رـسـولـ اللـهـ ﷺـ فـأـجـتـهـدـ وـلـاـ آـكـوـ^(١)ـ . وـالـقـصـةـ أـنـ لـمـ صـالـحـ
الـنـبـيـ ﷺـ الـمـشـرـكـيـنـ فـيـ الـخـدـيـبـيـةـ عـلـىـ أـنـ يـرـجـعـ وـيـأـتـيـ مـنـ الـعـامـ الـقـادـمـ ؛
شـقـ ذـلـكـ عـلـىـ عـمـرـ^(٢)ـ وـعـلـىـ غـيرـهـ مـنـ الصـحـابـةـ لـأـنـهـ ظـهـرـ لـهـمـ أـنـ
هـذـاـ اـنـتـصـارـ لـلـكـفـارـ وـفـيـهـ ذـلـةـ لـلـمـسـلـمـيـنـ، فـشـقـ عـلـيـهـمـ ذـلـكـ فـكـلـمـ عـمـرـ أـبـاـ
بـكـرـ فـقـالـ لـهـ أـبـوـبـكـرـ : هـذـاـ رـسـولـ اللـهـ، أـمـسـكـ بـغـرـزـهـ^(٣)ـ . فـتـمـ الـصلـحـ

(١) أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ (٤١٨٩)، وـمـسـلـمـ (١٧٨٥) مـنـ قـوـلـ سـهـلـ بـنـ حـنـيفـ^(٤)ـ.

(٢) سـبـقـ تـخـرـيـجـهـ .

وكان خيراً للمسلمين وذلة على الكافرين فسماه الله فتحاً ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١] مع أن عمر رضي الله عنه كره ذلك لأنه ظن أن في ذلك غضاضة على المسلمين وانتصاراً للكفار، لكن ما حكم به الرسول ﷺ هو الخير؛ لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى، فالواجب أن تقدم كلام الله وكلام رسوله ﷺ دائماً وأبداً، فلا تعترض ولا يكن في نفسك حرج من ذلك، أما إذا أبغضت ذلك فهذه ردة . نسأل الله العافية .

* الأسئلة :

سؤال: هل يجب تكفير من يبغض شيئاً من كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا البغض ظاهر؟

جواب: إذا أظهر البغض وقال أنا أبغض ما جاء عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ فلاشك في كفره ، أما إذا لم يعلم هذا وإنما هذا في قلبه ، هذا لا يعلمه إلا الله عزوجل لكن إذا تكلم وقال أنا أبغض الحديث أو أكره هذه الآية أو ما أشبه ذلك ، فهذا صرخ بالكفر والعياذ بالله يحكم عليه بنطق لسانه ، أما إذا لم يتكلم فنحن مالنا إلا الظاهر ولا يعلم ما في القلوب إلا الله عزوجل.

سؤال: بعض الناس قد يصعب عليه بعض الأفعال فيقوم بها مع المشقة وأحياناً قد تكره أنفسهم شيئاً مما أنزله الله ، كالاستيقاظ لصلاة الفجر وغير ذلك ، فهل هذا يُعد من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

جواب: هناك فرق بين كون الإنسان يبغض ما أنزل الله وكونه يصيبه الكسل عن قيام الليل أو صلاة الفجر هذا لا يكون كافراً ، هذا يلام على كسله وعلى تناقله ولكن لا يقال أنه كافر ، لأن هذا أمر طبيعي ولا يرجع إلى الإيمان ، كما إن الناس لما فرض القتال ، ثقل عليهم ، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُثُرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٢] ليس معناه أنهم يكرهون أن الله فرضه وإنما يكرهون نفس القتال ﴿وَهُوَ كُثُرٌ﴾ يعني القتال بما فيه من المشقة ، فلاشك أنه يلام على هذا ولكن ما يصل إلى حد الكفر ، الكسل عن الصلاة مثلاً وصلاة الليل ، قيام الليل أو بعض الأحيان عن صلاة الفجر ما يحضرها بسبب الثقل والكسل والنوم ، هذا نقص في إيمانه بلاشك وهذا نوع من أنواع النفاق ولكن لا يصل إلى حد الكفر. ولكن لو كره الصلاة وقال ما هذه الصلاة ولماذا تقوم بالليل ونذهب ونصلي؟ هذا الذي يكفر. إذا كره التشريع .

سؤال: من رد خبراً من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم في أبواب العقائد على أنها من أخبار الأحاداد ، هل يعتبر ذلك ردة عن الإسلام؟
جواب: إذا علم أنه صحيحة عن الرسول ﷺ وأنه نص في الموضوع ليس فيه احتمال ، نعم يعتبر ردة لأنه ليس له عذر .

أما إذا لم يعلم صحته وثبوته عن الرسول ﷺ أو علم عن صحته وثبوته ولكن الحديث فيه احتمال وليس نصاً في الموضوع أو تأوله، فهذا يعذر بالاحتمال وبالتأويل.

سؤال: من أبغض أمراً مباحاً أو مختلفاً فيه فهل يدخل في الناقض
الخامس؟

جواب : المباح أو المختلف فيه هذا له عذر في الاختلاف إذا كانت المسألة فيها خلاف وهوأخذ بأحد الاحتمالات أو أحد المذاهب ، فهذا إن كان مجتهداً ومحرياً للحق فيعذر وإن كان أخذ به لأنه يوافق هواه فهذا لاشك أنه أخطأ ويأثم ولكن ما يصل إلى حد الردة.

سؤال : هل في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَغْنَانَهُمْ﴾ دليل على بعض ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أو هو دليل على بعض جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حيث سمعنا من ينزل الآية على بعض جميع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيجعل الناقض في الجميع لا في البعض.

جواب: الحكم يشمل الجميع ويشمل البعض ، أليس البعض مما أنزله الله ؟ ولذلك الشيخ عبر بقوله: من أبغض شيئاً ، ما قال: من أبغض ما أنزل الله قال : من أبغض شيئاً مما جاء به النبي ﷺ ، هذا يشمل الكل ويشمل البعض ، لأن البعض أنزله الله كما أن الكل أنزله الله عزوجل وكلمة ((ما)) من الفاظ العموم.

سؤال: ما حكم من أبغض صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فهو هل داخل في هذا الناقض من نوافع الإسلام؟

جواب: نعم ، من أبغض صحابة الرسول ﷺ ، فهذا دليل على النفاق ، لا يبغض الصحابة إلا منافق ، بل إن الله تعالى سماه كفراً ، قال

تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعْهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَّغَوَّنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَاتِ وَمِثْلُهُرُ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَاعْزَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الْزَرَاعَ لِيغَيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَوْجَدَ الصَّحَابَةَ لِيغَيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، فَالذِي يَبغِضُ الصَّحَابَةَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى كُفْرِهِ وَنُفَاقِهِ نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَتَرَحَّمُونَ ، وَيَدْعُونَ لِمَنْ سَبَقُهُمْ ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا إِخْرَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

هذا موقف المسلم من الصحابة أنه يستغفر لهم ويترضى عنهم ويقول ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ويشفي عليهم.

سؤال: الذين يتكلمون في علمائنا ويقولون إنهم فقهاء حبيض ونفاس ويقولون لا تضرقوا بين شباب الأمة ، بل تزيد وحدة الصف ، هل هذا من الكفر بما أنزله الله على رسوله؟

جواب : هذا ليس من الكفر ، ولكن هذا من الغيبة والواقعة في أعراض العلماء وهذا حرام بلاشك لأنَّه ، غيبة شديدة التحريرم وعليهم أن يتوبوا إلى الله عز وجل ثم إن الكلام في العلماء ماذا يجدي ؟ ما يجدي إلا شرًا يغضفهم إلى الناس ويقلل الثقة بهم ، وأين يذهب الناس إذا لم يرجعوا إلى العلماء ؟ أين يذهبون ؟ هذا خطأ عظيم .

ويلزم عليه تقليل الثقة في العلماء وإسقاط منزلتهم عند الناس وهذا أمر لا يجوز ، وهذا معناه أن الناس يرجعون إلى غير العلماء فيحصل الشر ويحصل الفساد وهذا ما يريد دعاة الشر.



الدرس السابع في شرح الناقد السادس

قال الشيخ رحمه الله : من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ الَّهِ وَءَايَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ ﴾ لَا تَعْنَذِرُوا فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ .

الشرح.

قال رحمه الله : « السادس » أي: الناقد السادس من نوافع الإسلام « من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ الَّهِ وَءَايَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ لَا تَعْنَذِرُوا فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ هذا باب عظيم، والذي قبله « من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ » ، والبغض والكرابة من أعمال القلوب، وأما الاستهزاء فهو من أقوال اللسان.

وهذه الآية الكريمة جاء في سبب نزولها^(١) أن جماعة من المسلمين كانوا غزاة مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فاجتمعوا في مجلس فتكلموا واحد منهم فقال : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب أنسنا ولا أجبن عند اللقاء . يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وكان في المجلس شاب من الأنصار يقال له عوف بن مالك فقال لهذا الرجل : كذبت ، ولكنك منافق ، لأنّ أخرين رسول الله ﷺ . فقام ذاهبا إلى الرسول ﷺ ليخبره فوجد أن الوحي سبقه ونزل على الرسول ﷺ

(١) سبق تحريرجه .

فأنبأه الله جل وعلا بما قاله هؤلاء في مجلسهم، أو قاله واحد منهم والبقية لم ينكروا عليه ، ولما نزل ذلك على رسول الله ﷺ ارتحل من مكانه هذا وركب راحلته لما بلغه هذا القول الشنيع ، فجاء هذا الرجل الذي تكلم يعتذر للرسول ﷺ ويقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، نتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق ، والرسول ﷺ لا يلتفت إليه، وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله ﷺ ، والرسول لا يلتفت إليه ، ولا يزيد على قراءة الآية: ﴿ أَيَّالَهُ وَأَيْتَهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ ﴾ لَا تَعْنَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَنِكُمْ ﴾ فقوله جل وعلا: ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ هذا دليل على أنهم كانوا مؤمنين وليسوا منافقين ، ودل على أن من استهزأ بالله أو برسوله أو بما جاء عن الله ورسوله ﷺ أنه يكفر بعد إيمانه ويرتد عن الإسلام وهذا محل الشاهد من الآية ، إذ لو كانوا قبل مقالتهم منافقين لم يقل : ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ لأن المنافقين ليسوا مؤمنين من الأصل فلا يسمون بالمؤمنين وإنما يسمون بالمنافقين، وقد قال الله جل وعلا في الآية الأخرى في المنافقين : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ ولم يقل بعد إيمانهم.

والإسلام معناه : إعلان الدخول في الإسلام وإن لم يكن صادقاً في قلبه، فقد يكون كافراً في الباطن وإن كان يظهر الإسلام؛ وهذا هو المنافق، والأية ليس فيها أنهم كفروا بعد إيمانهم ، بل فيها : ﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ ففرق بين مجرد الإسلام وبين الإيمان.

فهذه الآية تدل على أمر عظيمة :

أولاً: أنه يجب احترام وتعظيم الله جل وعلا وإجلاله وأن من تنقص الله فإنه يكفر مثل ما قالت اليهود : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلْتَ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَاتَلُوا بَلْ يَدَاهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولهم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ومثل مقالة النصارى : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] هذا تنقص الله وكفر بالله عز وجل .

ثانياً: أن تنقص الرسول ﷺ كفر أيضاً لأن الله جل وعلا أمر بتعظيم الرسول ﷺ وتقديره واحترامه قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَنَّا لَهُمْ قُدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعُ عَلِيهِمْ﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَنَّا لَهُمْ تَرَفَعُوا أَصْوَاتُكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُمْ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُبُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَرَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١-٥] وقال جل وعلا : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] والرسول ﷺ ينادي بالرسالة: يا رسول الله ، يا نبي الله ، ولا يقال يا محمد باسمه وإنما يخاطب بالرسالة والنبوة تعظيماً له ﷺ؛ وهذا فالله جل وعلا يخاطبه باسم الرسالة والنبوة: يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، ولم يذكر اسمه إلا في مقام الإخبار لا في مقام النداء قال تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

هذا إخبار ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَمْنَوْا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد: ٢] هذا من باب الإخبار، أما المخاطبة فيخاطب الرسول ﷺ باسم النبوة والرسالة فلا تقل : قال محمد ، وإنما تقول : قال رسول الله ﷺ، أو تقول : قالنبي الله ﷺ، وقال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﴾ أي الرسول ﴿ وَعَزِزُوهُ ﴾ أي : وَقْرُوهُ، والتعزير يطلق فيراد به التوقير والاحترام ، ويطلق فيراد به التأديب مثل تعزير المخطئ وليس هذا هو المراد في حق رسول الله ﷺ بل المراد التوقير والاحترام ، وقال تعالى : ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّزُوهُ وَتُؤْقِرُوهُ وَتُسْبِحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩] فقوله ﴿ وَتُعَزِّزُوهُ وَتُؤْقِرُوهُ ﴾ هذا راجع إلى الرسول ﷺ ، ﴿ وَتُسْبِحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ هذا راجع إلى الله سبحانه وتعالى ، هذا هو الواجب للرسول ﷺ .

ثالثاً: أن الواجب نحو القرآن احترامه ، وتعظيمه ، لأنه كلام الله سبحانه وتعالى وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ، لأنه من كلام الله وكلام الله صفة من صفاته سبحانه وتعالى ، فالواجب احترام كتاب الله وتعظيمه وتوقيره.

رابعاً : أن الواجب احترام دين الإسلام ، وعدم تنقصه ، أو انتقاد شيء منه ؛ لأنه دين الله وشرعه ، فلا يجوز لأحد أن ينتقد هذا الدين أو يتنقصه أو يتكلم فيه بكلام فيه تنقص واستهزاء وسخرية ، فهذا هو الواجب نحو الله جل وعلا ورسوله ﷺ ونحو دين الإسلام .

خامساً : أنه يجب احترام سنة الرسول ﷺ وتقديرها واحترامها لأنها
كلام الرسول ﷺ وهي وحي من الله جل وعلا : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] فيجب احترام سنة رسول
الله ﷺ ولا يجوز انتقادها والاستهزاء بشيء منها ، ومن فعل ذلك فقد
ارتدى عن دين الإسلام .

سادساً : إحترام العلماء لأنهم ورثة النبي ﷺ ، والله رفع من شأنهم وأعلى من مكانهم : ﴿يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ إِمْنَوْا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فهو لاء - والعياذ بالله - وقعوا في هذه الجريمة ، تكلم هذا الرجل الشقي فقال : ما رأينا مثل قرائنا ، ويعني بالقراء رسول الله ﷺ وأصحابه ويشمل لفظ القراء في ذلك الوقت العلماء لأنه كان في ذاك الوقت الذي يقرأ القرآن يكون عالماً، أما في زمان المتأخر فقد يكون القارئ لا يفهم شيئاً من معاني القرآن ولا يفقه وإنما يجيد القراءة فقط، لأنه في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء ، أما في الزمان الأول فالقراء هم الفقهاء فقوله : ما رأينا مثل قرائنا هو لاء أي العلماء وهم الرسول ﷺ و أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

ويؤخذ من هذا أن الذي يتنقص العلماء من أجل علمهم في أي وقت أنه يدخل في معنى هذه الآية الكريمة؛ لأن هذا قال : ما رأينا مثل قرائنا، والقراء : هم العلماء ، وهذا يتناول العلماء في كل وقت ، والعلماء لهم احترامهم وإجلالهم لأنهم يحملون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويحملون العلم ويبلغونه إلى الناس فيجب احترامهم، والنبي ﷺ

يقول : « فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب »^(١)
وقال ﷺ: «.. وإن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر »^(٢)
فالعالم له قدره، والمراد العالم بشرع الله، قال تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » [فاطر: ٢٨] فالعلماء هم أهل خشية الله لأنهم يعرفون الله حق المعرفة فهم يجلونه ويعظمونه ويخشونه، وكلما زاد علم الإنسان زادت خشيته لله عز وجل فيجب احترام العلماء وتوقيرهم، فمن تنقصهم فإنه يكون داخلاً في معنى هذه الآية ﴿ أَبِلَّهُ وَأَيَّتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

سابعاً: احترام عموم المسلمين أفراداً وجماعات.

ثامناً: من العجب أن الذي تكلم في المجلس واحد والله عمم الحكم فقال: ﴿ أَبِلَّهُ وَأَيَّتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ نسب الاستهزاء إليهم جميعاً لماذا؟ لأنهم لم ينكروا فعمهم الحكم ، لأنهم لما سكتوا على المنكر صاروا شركاء مع فاعل المنكر، وهذا لما أنكر عليهم هذا الشاب بريء من الإثم وأنزل الله تصديقه في كتابه، وأما هؤلاء فلم ينكروا فدل أن الذي يحضر مجالس الكفر والاستهزاء بالدين وبالرسول ﷺ والصحابة والعلماء ولا ينكر يتناوله الحكم ، قال سبحانه وتعالى :

(١) أخرجه أحمد (١٩٦/٥)، وأبوداود (٣٦٤١)، والترمذى (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٥٩)، والبغوي في شرح السنة (١٢٩) من حديث أبي الدرداء روى وقال الحافظ في الفتح (١٩٣/١) « له شواهد ينقوى بها » .

(٢) تقدم تحريره.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي أَيْمَانِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا مُنْسِيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الْذِكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨]

وقال سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ إِيمَانَ اللَّهِ يُكَفَّرُ بِهَا وَيُسْهِبُهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفَقِّينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]

فدل على أن الذي لا ينكر سب الله أو سب الرسول ﷺ والصحابة أو سب الدين أو سب العلماء أنه يكون مثل الساب سواء بسواء لأن الله نسب الاستهزاء إلى المجموعة مع أن المتكلم واحد .

فهذه الآية فيها عبر وأحكام عظيمة ينبغي للمسلم أن يتأملها ويتدبرها لئلا يقع في شيء مما حذرته ، وهذه الأمور كثيرة في الناس اليوم ، فالاستهزاء بالدين والعلماء ، والاستهزاء بالسنة والقرآن كثير ويقولون الكتاب والسنة لا يصلحان في هذا الوقت والسنة لا يحتاج بها لأنها من نقل الرواية كما أن خبر الواحد لا يحتاج به ، وغير ذلك من المقالات الشنية .

وكذلك مما يكتب في الصحف ، ويداع ، أو يبيث في وسائل البث من تنقص دين الإسلام والاعتداء عليه شيء الكثير ، فلو كان هذا من الكفار لهان الأمر ؛ لأنه ليس بعد الكفر ذنب ، ولكن المشكلة أن هذا يحدث من ينتمي إلى الإسلام ويدعى العلم أنه يتنقص الأحكام الشرعية والأيات والأدلة الشرعية وأنها ظنية ولا تفيد العلم ، وما أشبه ذلك من المقالات الشنية ، أو الكلام في العلماء والواقعية في أعراضهم ، وأنهم علماء حيض ونفاس ، وأنهم علماء سلاطين ومداهنة وما أشبه

ذلك من المقالات الشنيعة التي يرددونها ويكتبونها مما لا يخفى، وكل هذا داخل في معنى الآية الكريمة وعلى صاحبه من الوعيد ما ذكره الله في هذه الآية، والله تعالى ذكر أن الكفار يسخرون من المؤمنين ويتناقصونهم قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الظَّالِمِينَ أَمْنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَيْهِمْ أَنْقَلَبُوا فِي كِهْنَةِ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٢] يصفون المؤمنين بأنهم ضالون، ويصفون هذا الدين بأنه ضلال ، يقولون: هذا الدين يعوق عن المدنية والرقي والحضارة وما أشبه ذلك من المقالات وأنه لا يصلح لهذا الزمان .

وكذلك يستهزئون بسنة الرسول ﷺ ويقولون إنها قشور، كإعفاء اللحية وحف الشوارب، ويقولون أنتم مشغولون بالقشور، وأن استعمال السواك من القشور، وإن إنكار الإسبال للثياب من القشور، يقولون : دعوا الناس يلبسو ما يشاؤون، وأن سفور النساء من الكمال وأن الحجاب من القشور، إذن ماذا بقي ؟ صار الدين كله قشوراً! بل إنهم يقولون إن الشرك وعبادة القبور من الأمور الهينة، هذه عقידتهم وهم أحراز في عقידتهم، وهذا من احترام الرأي الآخر ، وهم مجتهدون ، فلا تغلظوا ولا تنكرموا عليهم، وكل هذا يقال الآن وهذا لا شك أنه محاداة لله ورسوله ﷺ وتناقص لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإذا كان القرآن جاء بالقشور والسنة جاءت بالقشور فماذا بقي ؟.

ويقولون : نتحد فيما بيننا ولو كان بيننا قبوري أو شيعي من أجل أن نقاوم الإلحاد؟ .

فنتقول لهم : ما هو الإلحاد ؟

فيقولون : الإلحاد هو إنكار الخالق .

فنتقول لهم : والشرك وعبادة غير الله أليس هو من أعظم الإلحاد ؟ بل هو من أشد الإلحاد ، والذي يسب الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم هو من الإلحاد ، كالذي يسب الصحابة ويتنقص عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -، ويصفها بما برأها الله منه هذا متنقص للرسول ﷺ ومتهم له ، وأن في أهله سوءاً وأنه يقر السوء في أهله ، نسأل الله العافية وأن الله اختار لرسوله ﷺ زوجة فاسدة، هذا تنصاص لله ولرسوله ﷺ وأن الرسول ﷺ رضي بها وهي فاسدة ، فهذا كفر صريح .

وكذلك الذين يتنقصون الصحابة يكذبون الله تعالى، لأن الله تعالى أثني على الصحابة في آيات كثيرة قال تعالى : ﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبَعُوهُمْ إِلَحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَ اللَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبه: ١٠٠] فهو لاء المهاجرون والأنصار هم الصحابة رضي الله عنهم ، وهو لاء يقولون: الصحابة كفروا ولم يبق منهم على الإسلام إلا أربعة ، وما هذا إلا تكذيب الله جل وعلا، ويقول الله جل وعلا : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ، أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَنُّهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۚ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] فيقولون: الصحابة كفار، سبحانه الله! يذمون من أثني الله عليهم ويکفرون من أثني الله عليهم، والله - جل وعلا - يقول : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

أَخْرِجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّغَوَّنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِيَّا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» [الحشر: ٨] هؤلاء هم المهاجرون ثم قال في الأنصار : «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الحشر: ٩] هؤلاء هم الأنصار وهذه صفاتهم، ثم قال : «وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا إِخْرَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحشر: ١٠] ولكن إذا كان من جاء بعدهم من يقول : اللهم العن أبابكر وعمر، وعن عائشة أم المؤمنين وعن فلاناً وفلاناً من الصحابة رضي الله عنهم، ما حكمهم عند الله تعالى؟! نسأل الله العافية، لكن يجب على شباب المسلمين أن يتبعوا إلى هذه الأمور ولا ينخدعوا بهذه الدعایات والتضليلات، وأن من قال إنه مسلم فهو مسلم ولو صدر منه ما ينقض إسلامه ولا نفرق بين الناس، فنقول : إننا لا نفرق بين الناس الصالحين الطيبين إنما نفرق بين الطيب والخبيث قال تعالى : «قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالْطَّيْبُ وَلَوْ أَغْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوِي الْأَلَبَبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [المائدة: ١٠٠] فنحن لا نفرق بين المسلمين حاشا وكلا، وإنما نفرق بين الطيب والخبيث «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الْطَّيْبِ وَيَجْعَلَ الْخَيْثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرَكُمُهُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [الأنفال: ٣٧] فالله عز وجل ميز بين الخبيث والطيب، فالذي لا يميز بين الخبيث والطيب إما أنه ليس عنده عقلية يميز بها، وإما أنه ليس عنده

إيمان، فكل الناس عنده سواء ولا عنده إيمان يفرق به بين المؤمن والمنافق، والكافر والمسلم، والملحد والزنديق ، ما عنده تفريق بين الناس هذا إما أنه فاسد العقل وإما إنه فاسد العقيدة والعياذ بالله ، فيجب على المسلم أن يعرف هذه الأمور ويتأمل هذه الآية: ﴿ قُلْ أَيَّاللَهِ وَمَا يَنْهَا وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ ﴾ لا تَعْنَذِرُوا فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ لا يقبل عذر من استهزأ بالله ورسوله ، ودل على أن من سب الله ورسوله بِكُفْرِهِ يكفر.

وقد ذكر العلماء أن الاستهزءة ينقسم إلى قسمين :

استهزءة صريح بالقول، واستهزءة بالإشارة .

والاستهزء بالإشارة كان يمد شفته استهزاء أو يمد عينه استهزاء ، أو يشير إشارة تعطي التنقص والاستهزاء فهذا يعد تنقصاً واستهزاء وإن لم يتكلم . قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ [٢٩] وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَغَامِرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩].

وعلى المسلم أن يتنبه لهذه الأمور ويتجنب الكلام السيء، ولا سيما الكلام في أمور الشرع وأهل الشرع والعلماء، وأن يحفظ لسانه ، قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [آل عمران: ١٨].

ولا تعرف الحق من الباطل إلا إذا تعلمت العلم النافع ، وقد أنزل الله الفرقان وهو القرآن للتمييز بين الحق والباطل قال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّثُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقُّوا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩] فيجعل في قلوبكم نوراً تعرفون به الحق من الباطل ، فالقرآن فرقان والتمييز الذي يجعله الله في قلب المؤمن فرقان أيضاً لأنه يفرق بين الحق والباطل، فلا

يلتبس عليه هذا وهذا، ولا تؤثر عليه الدعایات المضللة والشبهات المزروقة، ولكن هذا يحتاج إلى عناية وتعلم ويحتاج إلى حذر من المنافقين والزنادقة المندسين بين صفوف المسلمين، وألا يحضر مجالسهم وإذا حضر فليكن على استعداد للإنكار عليهم وإنكار مقالتهم ورد شبهاً لهم.

تاسعاً الآية الكريمة - أيضاً - مسألة دقيقة وهي أن من سب الله أو رسوله ﷺ أو كتابه أو سنة رسوله ﷺ أنه يكفر سواء كان جاداً أو هازلاً، أو مازحاً لأن هذا الأمر ليس فيه مزح ولا هزل ، فلا يجوز الهزل والمزح في هذا الأمر ، فمن سب الله ، أو الرسول ، أو القرآن ، أو الصحابة أو منتبعهم من أهل العلم ، فإنه يناله هذا الوعيد الشديد ولو كان مازحاً ، لأن هؤلاء الذين نزلت بهم الآية قالوا : ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ﴾ فلم يقبل الله عذرهم بل قال : ﴿قُلْ أَيُّ أَلَّهٍ وَأَيْنَيْهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ﴾ لا تعتذروا قد كفراً بعده إيمانكم ﴿لَا تَعْنِذُرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ، علق الحكم بمجرد الاستهزاء ، فالاستهزاء بالله ورسوله ﷺ والاستهزاء بالأيات ليس فيه مزح ولا لعب ، يجب احترام هذه الأمور وعدم الاستهزاء بها والمزح بها .

عاشرأً: كذلك تدل الآية أنه يكفر ولو لم يعلم أن هذا كفر ؛ لأن هؤلاء ما علموا أن هذا كفر، فهو لاء كانوا أهل إيمان كما قال تعالى : ﴿لَا تَعْنِذُرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ما علموا أنه كفر، فالله لم يعذرهم بذلك فيكفر ولو كان لا يعلم أن سب الله ورسوله ﷺ وآياته كفر ، فكيف إذا كان عالماً؟ فالامر أشد، بهذه مسألة مهمة وأنه لا فرق بين الجاد

والهازل، والجاهل والعالم .

نسأله أن ينصر الإسلام والمسلمين، ويذل أعداء الدين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى أصحابه أجمعين .



أسئلة *

سؤال: ما أقل الاستهزاء الذي يکفر به صاحبه؟

جواب : ليس له قليل، قليله كثير والعياذ بالله ، كل ما كان استهزاءً وسخرية فهو كفر، حتى : الإشارة بالشفة ، واليد ، والعين يعتبر من الاستهزاء ولو لم يتكلم .

سؤال : هل في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَإِيَّاهُ ﴾ المقصود آيات القرآن
أم جميع الآيات الكونية ؟ وما المراد منها ؟ .

جواب : الآيات الكونية موجودة ولا يسْتَهِنُ بها أحد؛ لأنَّه يرى

الجبال والأشجار والأنهار، فلا مجال للتكميل بها لأنها عالم مشاهد ، وإنما المراد الآيات المفروعة ، والوحى المنزلى ، وهو القرآن والسنة .

سؤال: ما أقسام الاستهزاء؟ وما الضابط في الاستهزاء بالعلماء؟

جواب : الغالب والظاهر على من استهزأ بالعلماء أنهم يستهذون بالعلماء لما يحملونه من العلم ، لا يستهذون بهم لذواتهم فيقول: فلان أعرج أو أعور أو كذا في جسمه وإن كان هذا لا يجوز في حق كل مسلم قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ فهو لم يسخر من العلماء إلا لأجل علمهم .

سؤال: هل يستوي الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم والاستهزاء بالعلماء من جهة الحكم؟

جواب : الاستهزاء بالرسول ﷺ أشد بلا شك ، والاستهزاء بالعلماء قبيح لأنهم ورثة الأنبياء ، والنبي ﷺ قال : « العلماء ورثة الأنبياء »^(١) فالذى يستهزئ بالعلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنما يستهزئ بالأنبياء . من طريق اللزوم ، لماذا يستهزئ بهم؟ إلا لوراثتهم العلم ، وحملهم له .

سؤال : ما حكم من يستهزئ بالدين لإضحاك الناس؟

جواب : الحكم أنه كافر ، سواء كان جاداً أو هازلاً أو يضحك الناس فإنه يكفر بعد إيمانه ، والدين ليس محل للاستهزاء والسخرية .



(١) جزء من حديث تقدم تخریجه .

الدرس الثامن في شرح النافع السابع

قال الشيخ رحمه الله النافع السابع : السحر، ومنه : الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعِلْمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

الشرح.

السحر في اللغة : عبارة عن الشيء المخفي ، وهذا يقول العلماء: السحر ما خفي ولطف سببه^(١) .

ومنه : **السحر** وهو آخر الليل؛ لأن النهار يظهر خفياً في أوله مغموراً بظلام الليل ثم يظهر شيئاً فشيئاً حتى يسفر، وسمى سحراً لخفائه.

السحر في الشرع : ينقسم إلى قسمين : حقيقي وتخيلي .

فال حقيقي منه : عبارة عن عمل يؤثر في الأبدان أو في القلوب ، يؤثر في الأبدان بالمرض أو بالموت، أو يؤثر في الفكر بأن يُخيل إلى إنسان أنه فعل شيئاً وهو لم يفعله .

أو يؤثر في القلب فيورث به كراهة ، أو حبّة غير طبيعية ، فهذا هو الصرف والعطف، بأن يعطف الإنسان ويحدث فيه حبّة غير عادية لبعض الأشياء أو بعض الأشخاص، أو يكرهه إلى هذا الشيء أو يبغضه إليه، لأن يفرق بين المرأة وزوجها أو يحب أحدهما للآخر، ويسمى

(١) انظر : فتح المجيد ص ٢٩٥ . ط: الإفتاء .

بالتولة.

والتخيلي: ما يؤثر في الأ بصار والأ نظار فترى الشيء على خلاف ما هو عليه .

فمن النوع الأول ما جاء في سورة الفلق قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ هـ هذا هو السحر الحقيقي، والنفاثات: جمع نفاثة وهي التي تعقد العقد وتنفذ فيها، وتقصد بذلك الإضرار بالمسحور ، ومنه ما حصل للنبي ﷺ لما سحره لبيد بن الأعصم اليهودي صار يخيل إليه ﷺ أنه فعل الشيء وهو لم يفعله، فتأثر بالسحر لأن الأنبياء بشر يعرض لهم ما يعرض للبشر وهذا نوع من الأمراض فيمرضون ويصيبهم ما يصيب البشر، ومن ذلك السحر لأنّه مرض، فأرسل الله إليه ﷺ ملكين يرقيانه بهذه السورة، فوقفا عنده فقال أحدهما : ما شأن الرجل ؟ قال الآخر: مطبوّب - يعني مسحور - قال : ومن طبعه ؟ - أي من سحره - قال: لبيد ابن الأعصم في مشط ومشاطة في جف طلعة في بئر ذروان. فرقاه جبريل عليه السلام بهذه السورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ فقام ﷺ كأنما نشط من عقال، فذهب عنه السحر، ثم أمر رجالاً أن يذهبوا إلى هذه البئر فذهبوا فاستخرجوا منها السحر وأتلفوه، وقالوا للنبي ﷺ: ألا تقتله ؟ فقال ﷺ : « أما الله فقد شفاني، ولا أحب أن أفتح على الناس شرآ»^(١) فتركه ﷺ درءاً للفتنة ،

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥) ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فدل على أنه مستحق للقتل؛ لأن الرسول ﷺ لم يقل لا يجوز قتله، أو لا يستحق القتل، وإنما قال : « لا أحب أن أفتح على الناس شرًا » يعني فتنة ؛ لأن اليهود عندهم عهد مع النبي ﷺ ولو أنه قتله لحصل منهم فتنة وشر؛ ولا شك أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فتركه ﷺ لأن الغرض حصل وهو شفاؤه ﷺ ، فهذا من النوع الحقيقي الذي يؤثر .

وأما السحر التخييلي: وهو سحر الأعين فهو من جنس ما فعله فرعون مع موسى عليه السلام لما جمع السحرة ليقابلوا موسى والمعجزات التي معه فعملوا سحراً تخيلياً، وهذا قال جل وعلا : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] ما قال سحرروا الناس بل قال : ﴿سَحَرُرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] ، وقال سبحانه وتعالى في سورة طه: ﴿فَإِذَا جَاهُوكُمْ وَعَصَيْتُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَ﴾ [طه: ٦٦] أي: يخيلي إلى موسى من سحرهم أن العصا والحبال تسعى وتحرك وتتشي وهي في الحقيقة لا تتحرك ولا تتشي من ذاتها بل يحركها ما وضع فيها من الزئق كما في الآية الأخرى ﴿سَحَرُرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ هذا سحر تخيلي ليس له حقيقة بمجرد أن يذهب تعود الأشياء إلى حقيقتها، وهذا يأتي الساحر إلى بعض الناس فيأتي بجسارات أو جعلان أو خنافس فيلقي عليها السحر فتصبح كأنها غنم ثم بعد قليل تعود إلى طبيعتها. ومنه ما يعمله النشالون والمحتالون فيأتون إلى بعض الناس بأوراق عادية يضعون عليها القمرة فيظنونها نقوداً ويأخذون في مقابلها أموالاً

أو صرافة نقوداً بنقود ، ثم إذا ذهب الساحر عادت هذه الأشياء إلى حقيقتها، أوراقاً لا قيمة لها هذا شيء معروف ويقع كثيراً على أيدي النشالين والمحظيين الذين يأخذون أموال الناس بالباطل.

فالسحر بنوعيه قديم في البشرية ذكره الله تعالى في قوم فرعون ، وأن السحرة كانوا عند فرعون ، وفي رعيته ، ويحترفون السحر فلما جاء موسى عليه السلام برسالة ربه ومعه المعجزات التي تدل على صدقه وهي العصا التي تنقلب إلى حية ، ويدله يدخلها في جيشه عليه السلام فتخرج بيضاء من غير آفة أو برص هذه معجزات من عند الله لا صنع للبشر فيها ، لأن المعجزات التي من عند الله لا دخل للبشر فيها، ولا يستطيع بنا الإنسان أن يأتوا بهنها لأنها من عند الله جل وعلا ، والنبي لا يقدر أن يعمل المعجزة، وإنما هي من عند الله عز وجل هو الذي يجعلها على يد نبيه ورسوله تصدقها له قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَكَ عَلَيْهِ إِيمَتُّ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا أَلَّا يَأْتِيَتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ٥٠] فالرسول لا يستطيع أن يأتي بآية إلا أن يأتي بما يعطيه الله من معجزات.

أما السحر فإنه عمل بشري وصناعة يتعلمهها الناس ويتقنونها وهي من عمل شياطين الإنس والجن ، وليس معجزات، وإنما هي خوارق شيطانية، يستطيع الإنسان أن يصنعها أو يتعلمها ، أما المعجزة فلا يقدر أحد على إيجادها إلا الله ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَكَ عَلَيْهِ إِيمَتُّ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا أَلَّا يَأْتِيَتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٠] فالآيات من عند الله جل وعلا فما هي باستطاعة الرسول ﷺ أن يلقي بها أو

يعلمها ، أما السحر فهو باستطاعة المخلوق أنه يتعلمها ويصنعها ، والمعجزة حق والسحر باطل ؛ وهذا لما جاء موسى عليه السلام بالبيانات والمعجزات قالوا: هذا سحر، وأنه ساحر، وقال فرعون : ﴿فَلَنَا أَتَيْنَاكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ [طه: ٥٨] فجمعوا السحرة لمقابلة موسى وتواعدوا يوماً واجتمع الناس ليشاهدو ما يقع بين السحرة وموسى، هل السحرة يغلبون موسى أو موسى يغلب السحرة ؟ وهذا من تيسير الله لظهور الحق ونصرة نبيه موسى عليه السلام ، اجتمعوا فطلبوا من موسى أن يلقي أولاً فقال لهم : ألقوا أنتم، فالقوا ما معهم من سحر عظيم واسترهبوا الناس به من الحبال والعصي حتى إن موسى عليه السلام خاف ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ثَلَقَ مَا صَنَعُوا﴾ [طه: ٦٧-٦٩] فألقى العصا التي كانت بيده فكانت ثعباناً عظيماً أرهبهم والتهم كل السحر الذي وضعوه في الوادي، وخفوا على أنفسهم أن يلتهمهم الثعبان ، ثم إن موسى - عليه السلام - أمسكها فعادت عصا كما كانت، فعند ذلك علم السحرة أن الذي مع موسى ليس من السحر، وعرفوا أن هذا ليس من صنع البشر وأنما هو من عند الله، فآمنوا وتابوا إلى الله وخرعوا ساجدين لله عز وجل، ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا إِنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَذُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٢٠-١٢٢] ففضح الله فرعون في هذا الموقف والمشهد العظيم، فضح الله فرعون وقومه وأبطل ما معهم وظهرت المعجزة الريانية التي لا صنع للبشر فيها، عند ذلك تجر فرعون وتكبر وعائد وتوعد السحرة بالبطش والجبروت لكن ثم ماذا؟ قالوا :

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضِ إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾٢٦﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّخْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾٢٧﴾ [طه: ٧٣-٧٢] وتوعدهم أن يقتلهم ويصلبهم في جذوع النخل، ولكنهم صبروا وقالوا : ﴿رَبَّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ فكانت العاقبة لأهل الإيمان أي النبي الله موسى عليه السلام وللمؤمنين ، فانتصر الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فتبين أن المعجزات التي مع الأنبياء إنما هي من صنع الله لا يستطيع أحد من البشر كائناً من كان ولا من الملائكة أن يوجد شيئاً منها، وإنما هي من خلق الله وصنعه .

فهذا هو الفرق بين معجزات الأنبياء والسحر، فدل على أن السحر قديم في البشرية من عهد فرعون كما ذكر الله في القرآن كما قد يكون من قبل . وقد بقي السحر في بني إسرائيل فلهذا في عهد سليمان عليه السلام وهونبي ملك من أنبياء بني إسرائيل وملوكهم سخر الله له الجن والعفاريت والشياطين تعمل بأمره ؛ لأن الله أعطاه ملكاً لم يعطه أحداً من العالمين لما سأله ربه وقال: ﴿وَهَبَ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾٢٨﴾ [ص: ٣٥] ومن ذلك أن الله سخر له العفاريت ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾٢٩﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾٣٠﴾ [ص: ٣٨-٣٧] يتصرف فيهم عليه الصلاة والسلام ويعملون له الأعمال المائلة كما ذكر الله سبحانه وتعالى، ثم لما مات سليمان عليه السلام جاءت الشياطين وقالت : إن سليمان ما استطاع تسخير الشياطين إلا بالسحر، فهو يستخدم الجن والشياطين بالسحر الذي يعمله. افتروا على سليمان ، والله برأ سليمان عليه السلام من ذلك لأن السحر كفر ولا يليق ببني

الله سليمان أن يعمل الكفر قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَنْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ أي ما سحر سليمان فسمى الله السحر كفراً، فقال : ﴿ وَلَكِنَّ الْشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ إِنَّهَا هَرُوتٌ وَمَرُوتٌ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارَّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَصْرِفُونَ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْرَبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِئِنْسَانٍ مَا شَرَفُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

﴿ [البقرة: ١٠٢-١٠٣] في هذه الآيات بيان أن السحر هو من عمل الشياطين وأنه لا يليق بسليمان عليه السلام نبي الله ابن نبي الله ولكن هذا من افتراءات اليهود التي ألقتها إليهم الشياطين، فهذه الآيات تدل على أن السحر كفر ولها استدل بها المصنف على أن السحر كفر وأنه من نواقض الإسلام وذلك في عدة مواضع :

أولاً : قوله ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ أي ما عمل السحر لأن السحر كفر ولا يليق ببني الله .

ثانياً : قوله ﴿ وَلَكِنَّ الْشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ دل على أن تعليم السحر كفر، وأنه من تعليم الشياطين وأنه ليس من تعاليم الأنبياء عليهم السلام .

ثالثاً : قوله ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يعني الملائكة ، ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا

نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ ﴿٢﴾ أي لا تتعلم السحر فتكتفر، فمن تعلم السحر كفر .
 رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ أَشْرَبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ إنما هذا في حق الكافر لأن الكافر ليس له نصيب في الآخرة أي الجنة ، فدل على أن السحر كفر يمنع من دخول الجنة .

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِمَانُوا وَأَتَّقَوْا﴾ هذا دليل على أن السحر ينافي الإيمان والتقوى .

فهذه مواضع من الآيات كلها تدل على أن تعلم السحر وتعليمه كفر، وأن من استبدل الله قد استبدل الكفر بالإيمان فصار كافراً ، وأنه ليس له نصيب من الجنة ، وأن من تعلم السحر انتفى عنه الإيمان ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِمَانُوا وَأَتَّقَوْا﴾ دل على أن السحر ينافي الإيمان وأنه ناقض من نوافع الإسلام ، هذا وجہ استدلال الشیخ رحمہ اللہ بھذہ آیات .

ولكن يمكن أن تقول: كيف تعلم الملائكة السحر وتعليم السحر كفر؟
 فنقول : هذا ابتلاء من الله وامتحان للبشر من يؤمن ومن يكفر؟
 فهذا ملکان انزلهما الله لتعليم السحر لأجل امتحان الناس من يؤمن
 ومن يكفر؟ ولهذا لا يعلمان أحداً من الناس: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، فهما ينصحان المتعلّم بأن يترك تعلم السحر
 ويبينان أنه كفر، فإنهما لا يعلمان ويسكتان ولكن ينصحان بأنه كفر فإن
 أقدم عليه باختياره كفر، والله جعل الملائكة يعلمان الناس السحر من
 أجل امتحان الناس ليس لأجل أن السحر لا بأس به وأنه مباح وإنما من
 أجل أن يتبيّن من يكفر ومن يؤمن ومن يقبل النصيحة. فعرفنا من هذا

أن السحر كفر تعلمه وتعلمه.

قال الشيخ رحمه الله « أو رضي به » إذا لم يتعلم ولم يعمله ولكن رضي به وما أنكره فهذا يكفر أيضاً بمجرد الرضا ، لأن من رضي بالكفر فقد كفر، فالمؤمن لا يرضي الكفر .

إذن السحر كفر : تعلمه وتعلمه والعمل به والرضا به ، كل هذه الأمور مما يدل على أنه يجب إنكار السحر ومنع السحرة وازالتهم من المجتمع ، لئلا ينشروا الشر والفساد فيه، وهذا جاءت الأحاديث بقتل الساحر ، قال ﷺ : « حد الساحر ضربه بالسيف »^(١) ، وعمل الصحابة بذلك فقتلوا السحرة :

كتب عمر رضي الله عنه إلى عماله أن اقتلوا كل ساحر وساحرة^(٢) .

وحفصة بنت عمر أم المؤمنين أمرت بقتل جارية لها سحرتها^(٣) .

وجندب بن كعب الصحابي قتل الساحر بحضور أحد أمراءبني أمية،

(١) أخرجه الترمذى (١٤٦٠)، والطبرانى في الكبير (١٦٦٥)، والدارق طنى (١١٤/٣)، والحاكم (٤/٣٦٠) من حديث جندب رضي الله عنه . وهو ضعيف مرفوعاً صحيح موقوفاً على جندب قال الترمذى : « والصحيح عن جندب موقوفاً ».

(٢) أخرجه أحمد (١٦٥٧)، وأبوداود (٣٠٤٣)، وقال العلامة سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد (٣٩٥) : « وإنسانده حسن » .

(٣) أخرجه عبدالله ابن الإمام أحمد في مسائله عن أبيه (١٥٤٣)، والبيهقي في الكبرى (١٦٩٦٧) وصححه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في « كتاب التوحيد » .

لما جاء ووجد الساحر يلعب عند الأمير يخيل إلى الناس أنه يقتل شخصاً ثم يحييه، يقطع رأسه ثم يعيده - من باب السحر التخييلي - فهو لم يصنع شيئاً ولكنه تخيل على الناس ، فقرب منه جندي بن كعب حتى ضربه بالسيف وقطع رأسه وقال : إن كان صادقاً فليحيي نفسه^(١)، وهذا يقول الإمام أحمد رحمه الله: صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ عن عمر ، وحفصة ، وجندب بن كعب .

ولو أظهر الساحر التوبة فإنه لا يقبل منه ، بل ينفذ عليه الحد؛ لأنه لا يوثق بتوبته لأنه زنديق فقد يظهر التوبة وفي قلبه السحر، فيقتل على أي حال ولو كان صادقاً في توبته فيما بينه وبين الله فالله جل وعلا يقبل توبته، وأما نحن فنطبق عليه الحد ونقتله بكل حال.

وبهذا يظهر لنا بطلان السحر وأنه كفر أكبر يخرج من الملة وردة عن دين الإسلام وأنه من نوافع الإسلام وأن حد صاحبه القتل على كل حال لأنه يفسد المجتمعات وينشر العداوة والبغضاء والشر بين الناس، ومن هذا ندرك أن ما يُفعل من باب «السيرك» كما يسمونه أو من باب «الألعاب البهلوانية» فيأتون بالساحر في الحفلات والمنتزهات والسياحة ليعمل القمرة ، أن هذا سحر صريح ولو سموه بغير اسمه. ونعلم بهذا أيضاً أنه لا يجوز إقرار السحر في المجتمع الإسلامي بأي

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢٢٢/٢)، والبيهقي في الكبرى (١٦٩٧٠) وصححه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد . وقال العلامة سليمان في التيسير (ص ٣٩٦) عن هذه القصة : « ولما طرق كثيرة » .

شكل ، يمكن أن يقال إنهم يعالجون الأمراض فيسموه الطب الشعبي وهو سحر، أو يأتون به باسم الرقية فيرقون وهم سحرة والجهال يسمونهم المشايخ وهم سحرة ، والعوام يعتقدون أنهم أطباء ومشايخ . وكذلك لا يجوز استعمال السحر باسم الألعاب البهلوانية أو السيرك أو ما أشبه ذلك، كالذي يجر السيارة بشعره، أو أنه تمشي عليه السيارة ولا تضره، أو يطعن عينه بالأسياخ من الحديد ولا تضره ، أو يطعن نفسه بالسكين، أو يأكل النار أمام الناس فهذا كله كذب وكله من السحر التخييلي ، فلا يجوز عمله ولا الرضا به ، ولا جلب أصحابه ليعملوها أمام المسلمين، لأنه منكر ظاهر يجب إنكاره والقضاء عليه وتطهير بلاد المسلمين منه.

* مسألة : في حكم حل السحر عن المسحور :

لا شك أن السحر إصابة ومرض يحتاج إلى علاج، والله جل وعلا ما أنزل داء إلا وأنزل له شفاءً، فبماذا نعالج المسحور ؟ نعالجها بالرقية الشرعية ، والنبي ﷺ عولج بالرقية، رقاه جبريل بسورة الفلق، فيرقى المريض بالقرآن والأدعية والأدوية الشرعية، فهذا لا بأس به، لأنه حل السحر عن المسحور بما شرعه الله جل وعلا وأنه سبحانه ما أنزل داء إلا وأنزل له شفاءً .

وأما حل السحر بسحر مثله فلا يجوز، وهو علاج بما حرم الله ، بل علاج بالكفر ، والنبي ﷺ يقول : « تداووا ولا تدوا بحرام » ^(١)

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤). من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

والسحر من أعظم المحرمات فكيف نعالج به المسحور، ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم ^(١) .

والسحر من أشد المحرمات فلا يجوز أن نعالج به المسحور، وإنما نعالج المسحور بما نعالج به سائر الأمراض من الرقية بالقرآن والرقية بالأدعية والتعوذات الشرعية والأدوية المباحة ، فهذا الذي يعالج به المسحور، وما يقال خلاف ذلك من جواز حل السحر بسحر مثله فهو قول مردود وباطل، فلا يجوز الأخذ به؛ لأنه يخالف الأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والواجب تنقية المجتمعات المسلمة من السحرة وأعمالهم، وألا يقرروا في البلد بين الناس ينشرون السحر بين الناس، والواجب محاربتهم والقضاء عليهم ومن عرف أنه يعمل السحر فإنه يقدم إلى المحكمة لينال جزاءه الشرعي حتى يستريح منه العباد والبلاد، ولا نفتح لهم المجال ونستقدمهم أو ندافع عنهم ونقول : اتروهم يعالجون الناس، فهم يجلبون السحر وبذلك نزيد الشر شرًا ، ونزيد السحر سحرًا .



(١) أخرجه البخاري تعليقاً (٨١/١٠ - الفتح) وقد ذكر الحافظ ابن حجر هناك من وصله بأسانيد قال عنها : صحيحة.

*الأسئلة :

سؤال: ما حكم حل السحر بسحر مثله ؟ أو النهاب إلى ذلك ؟
وريما نسب ذلك إلى إقرار الشيخ ابن باز وأنه موجود في كتب الفقهاء
والحنابلة ؟

جواب: أما نسبته إلى الشيخ ابن باز ، فهي كذب صريح ، لأن الشيخ ابن باز يفتى بتحريم السحر وأنه لا يجوز العلاج به قوله رسالة اسمها إقامة البراهين في الرد على المشعوذين والسحرة والدجالين موجود في أجوبيته رحمه الله وفي فتاواه ، فنسبة القول أنه يجوز حل السحر بسحر مثله ، كذب على الشيخ وأما أن بعض العلماء القدماء قالوا بهذا ، فكل يؤخذ من قوله ويرد ، فلا يجوز الأخذ بأقوال المفتين إذا خالفت الكتاب والسنة وليس حجة ، إنما الدليل من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين.

سؤال: البعض يقول إن من العلاج لفك سحر الصرف أن يطلق الرجل زوجته تطليقة واحدة ، ثم ينفك السحر بإذن الله ، ثم يراجعها بعد ذلك ، فهل هذا الفعل سائغ ؟ وهل له وجه من الشرع وبماذا يوصي فضيلتكم ؟

جواب: ما قال بهذا أهل العلم فيما أعلم ، وليس هذه المقوله بصحيحة ، حل السحر ما هو بالطلاق ، حل السحر بالعلاج الشرعي لا بالطلاق ، والله جل وعلا يبغض الطلاق ، إلا إذا دعت إليه الحاجة من عدم صلاحية العشرة بين الزوجين أو عدم الوفاق بينهما ، أما أن يطلقها من أجل العلاج فلا أعلم أحداً من أهل العلم قال بهذا .

سؤال: إذا وجدت سحراً، هل أحله بالحرق أو التمزيق؟
جواب: إذا وجدت سحراً فاتلفه، إما بحرقه بالنار أو بتمزيقه،
المهم أنك لا تبقيه.

سؤال: يحدث في بعض البلاد أن يقوم شخص في جموع من الناس
يعلم استعراضات مثيرة؛ كان يدخل سيضاً أو سكيناً في بطنه دون أن
يتأثر، وغير ذلك من الحركات التي لا تصدق في حياة الناس العادية؛
فما حكم الشرع في مثل هذه الأفعال؟

جواب: هذا مشعوذ وكذاب، وعمله هذا من السحر التخييلي؛ فهو
من جنس ما ذكره الله عن سحرة فرعون في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءُهُمْ
وَعَصَيْهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِخْرِيهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦]، وفي قوله تعالى:
﴿فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهُبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١]
وهؤلاء يستعملون ما يسمى بالقمرَة، وهي التخييل للناس خلاف
الحقيقة، أو يعملون شيئاً من الحيل الخفية التي تظهر للناس كأنها حقيقة،
وهي كذب؛ لأن يُظهر للناس أنه يطعن نفسه، أو أنه يقتل شخصاً، ثم
يرده كما كان، وفي الواقع الأمر لم يحصل شيء من ذلك، أو يُظهر للناس
أنه يدخل النار، ولا تضره، وهو لم يدخلها، وإنما عمل حيلة خفية ظئناها
الناس حقيقة، ولا يجوز السماح لهؤلاء بهزيمة هذا الباطل والتدليل
على المسلمين بجهلهم الباطلة؛ لأن هذا يؤثر على العوام، وكان عند
بعض الأمراء من بني أمية رجل يلعب به مثل هذا، فذبح إنساناً، وأبان
رأسه، ثم رده كما كان، فعجب الحاضرون، فجاء جندبُ الخير الأزديُّ

رضي الله عنه، فقتله، وقال: إن كان صادقاً؛ فليُحيي نفسه .^(١) ولا يجوز للMuslim أن يحضر هذا الدجل والشعودة، أو يصدق بها، بل يجب إنكار ذلك، ويجب على ولاة المسلمين منعه والتنكيل بمن يفعله، ولو سمي لعباً وفناً! فالأسماء لا تغيرُ الحقائق، ولا تبيحُ الحرام، ومثله الذي يُظهر للناس أنه يجذبُ السيارة بشعره، أو ينام تحت كفرات السيارة وهي تمشي، أو غير ذلك من أنواع التدجيل والتخييل والسحر.

سؤال: هل الذين يأتون إلى الألعاب البهلوانية وغيرها التي تعتمد على السحر، يكفرون وهم لم يرضاوها؟

جواب: إذا لم يرضاوها فقد فعلوا حرماً يأثمون عليه ، أما إذا رضوا بها وهم يعلمون أنها سحر فإنهم يكفرون بهذا .

سؤال: قبل أن أهتدي وأداوم على الصلوات في أوقاتها وقراءة القرآن الكريم ذهبت إلى إحدى الساحرات وطلبت مني أن أخنق دجاجة لكي تعمل لي حجاباً تريطني بزوجي ، لأنه كان يوجد دائماً مشكلات بيسي وبينه ، وقد خنقت الدجاجة فعلاً بيدي فهل على في فعل هذا إثم؟ وماذا أفعل حتى أتخلص من هذا الخوف الذي يراودني والقلق؟

جواب: أولاً: الذهاب إلى الساحرات حرام شديد التحريم، لأن السحر كفر وأضرار بعباد الله عز وجل ، فالذهاب إليهم جريمة كبيرة وما ذكرتني أنك خنقت الدجاجة جريمة أخرى، لأن هذا فيه تعذيب للحيوان وقتل للحيوان بغير حق، وتقرب إلى غير الله بهذا العمل

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/١٧٦-١٧٧).

فيكون شركاً، ولكن مادمت قد تبتي إلى الله سبحانه وتعالى توبة صحيحة فما سبق منك يغفره الله سبحانه وتعالى ولا تعودي إليه في المستقبل، والله تعالى يغفر لمن تاب ، ولا يجوز للمسلمين أن يتركوا السحرة يزاولون سحرهم بين المسلمين بل يجب الإنكار عليهم ويجب على ولادة أمور المسلمين قتلهم ولراحة المسلمين من شرهم.

سؤال: مارأيكم بفتح عيادات متخصصة للقراءة؟

جواب: ما كان هذا من عمل السلف أنهم يفتحون دوراً أو يفتحون محلات للقراءة ، والتوسع في هذا يحدث شرآ ، ويدخل فيه من لا يحسن ، لأن الناس يجررون وراء الطمع ، ويريدون أن يجلبوا الناس إليهم ولو بعمل أشياء محمرة .



الدرس التاسع في شرح النافع الثامن

قال رحمه الله : الثامن : مظاهر المشركين وتعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ أَلْفَلِيمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] .

الشرح .

الشيخ رحمه الله أخذ نوعاً واحداً من أنواع موالة الكفار وهو المظاهرة، وإنما الموالة تشمل : المحبة بالقلب، ومظاهرة المشركين على المسلمين ، والثناء والمدح للكفار ، إلى غير ذلك ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أوجب على المسلمين معاداة الكفار وبغضهم والبراءة منهم، وهذا ما يسمى في الإسلام بباب الولاء والبراء.

فقوله : « مظاهرة المشركين وتعاونتهم على المسلمين » المعاونة هي المظاهرة، والظاهر أنه من عطف التفسير، فالمظاهرة معناها المعاونة.

ثم استدل رحمه الله بالأيات : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ أَلْفَلِيمِينَ﴾ ، قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ دليل على كفر من فعل ذلك؛ لأن ظاهر قوله ﴿فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ أي فهو مثلهم في الكفر، هذا وجہ استدلال الشيخ رحمه الله تعالى .

وقد ذكرنا أن الموالة أقسام منها المحبة في القلوب ولو لم يظاهرهم، ومنها المظاهرة والمعاونة والمناصرة ولو لم يحبهم، ومنها مدحهم ومدح

دينهم والثناء عليهم، كل هذا يدخل في الموالاة ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ ﴾ يتولهم بالمحبة أو يتولهم بالمناصرة والمساعدة على المسلمين، أو يتولهم بالثناء عليهم ومدح ما هم عليه، فالآية عامة .

ومظاهر الكفار على المسلمين تحتها أقسام :

القسم الأول : مظاهرتهم ومعاونتهم على المسلمين مع حبّة ما هم عليه من الكفر والشرك والضلالة، فهذا القسم لا شك أنه كفر أكبر مخرج من الملة، فمن ظاهرون وأعوانهم وساعدتهم على المسلمين مع حبّة دينهم وما هم عليه والرضا عنهم وهو اختيار غير مكره فإنه يكون كفراً أكبر مخرج من الملة على ظاهر قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ ﴾ .

القسم الثاني : أن يعاونهم على المسلمين لا اختياراً وهو لا يحبهم بل يكرهونه على ذلك بسبب إقامته بينهم فهذا عليه وعد شديد ويخشى عليه من الكفر المخرج من الملة، وذلك أن المشركين لما أكرهوا جماعة من المسلمين يوم بدر على الخروج معهم لقتال المسلمين فإن الله سبحانه وتعالى أنكر عليهم ذلك حيث إنهم تركوا الهجرة وبقوا مع المشركين وعرضوا أنفسهم إلى ما وقعوا فيه من إكراههم على الخروج مع أنهم يبغضون دين الكفار ويحبون دين المسلمين ولكن بقوا في مكة شحّا بأموالهم وبلدهم وأولادهم^(١) ، لا عن حبّة للكفار أو حبّة لدينهم، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِيَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جرير

(٥/٤٦٩-٢٧٤)، وانظر : تفسير البغوي (١/٤٦٩) ط. دار المعرفة .

كُنْتُمْ ﴿ يعني مع أي فريق كنتم ؟ هذا استنكار ، يعني لماذا كنتم مع المشركين وأنتم مسلمون ؟ ﴾ ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ما لنا حيلة ، هم الذين أجبرونا وأكرهونا على ذلك : ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَا جَرُوا فِيهَا ﴾ لماذا تصبرون على البقاء مع الكفار وأنتم مسلمون ؟ وعرضتم أنفسكم لما وقعتم فيه في هذا المشهد المخيف ؟ ﴿ فَأَوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ هذا وعيد شديد لهم ، ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ﴿ فَأَوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ [النساء : ٩٧] فالذي ترك الهجرة وهو يستطيع ولم يهاجر ويفي بسكن مع المشركين وأخرجوه معهم لقتال المسلمين ، هذا عليه وعيد شديد ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلْدَانِ ﴾ فهو لاء مذوروون في بقائهم لأنهم لا يستطيعون الهجرة ، والله جل وعلا يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

القسم الثالث : من يعين الكفار على المسلمين وهو مختار غير مكره مع بغضه لدين الكفار وعدم الرضا عنه فهذا لا شك أنه فاعل لكبيرة من كبائر الذنوب ويخشى عليه من الكفر.

القسم الرابع : من يعين الكفار على الكفار الذين لهم عهد عند المسلمين ، فهذا حرام ولا يجوز لأنه نقض لعهد المسلمين ، فالكافر المعاهدون لا يجوز لجميع المسلمين قتالهم وفاء بالعهد الذي بينهم وبين المسلمين ، والذي يعين من قاتلهم من الكفار فهذا يكون نقضاً لعهد المسلمين ويكون غدرًا بذمة المسلمين ، قال ﷺ : « من قتل معاهداً لم

يرح رائحة الجنة »^(١) وإذا كان الله عز وجل قد نهى المسلمين عن مناصرة المسلمين على الكفار إذا كان للكفار عهد عند المسلمين فكيف يمكن ظاهر الكفار على نقض عهد المسلمين قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمُ الْنَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَنْكِمُ وَبَيْنَهُمْ مِّيقَاتٌ﴾ [الأنفال : ٧٢] فإذا استنصر بنا مسلمون على كفار يجب علينا نصرة المسلمين على الكفار إلا في حالة واحدة : إذا كان لهؤلاء الكفار عهد عند المسلمين فلا يجوز لنا أن نناصر المسلمين عليهم، فكيف نناصر الكفار على حلفاء المسلمين، فهذا أمر لا يجوز، وكل هذا من أجل الوفاء بالعهد .

القسم الخامس : وهو مودة الكفار ومحبتهم من غير إعانته لهم على المسلمين هذا نهى الله عنه ونفي عن صاحبه الإيمان قال الله جل وعلا ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدِّونَ مِنْ حَادَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْأَيْمَنَ﴾ [المجادلة : ٢٢] وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَاهُ فَلَمَّا نَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيمٌ﴾ [التوبه : ١٤] ، وقال : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا تَنْهِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أُولَئِكَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...﴾ إلى قوله : ﴿فَدَّ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بَرِءَوْا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالبغضَاءُ أَبْدَأَهُ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وَحَدَّهُ ﴿المتحنة: ٤﴾ فسورة المتحنة كلها في تحريم مواد الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إلى المسلم وختتمها بقوله : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِيبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَرِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَرِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» [المتحنة: ١٣] فكل سورة المتحنة في موضوع معاداة الكفار وعدم محبتهم من أولها إلى آخرها .^(١)

(١) قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله نقلًا عن كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: وأما المسألة الثالثة وهي ما يعذر به الرجل على موافقة المشركين وإظهار الطاعة لهم ، فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاثة حالات :

الحالة الأولى : أن يوافقهم في الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره ، ويميل إليهم ويوادهم بباطنه ، فهذا كافر خارج من الإسلام ، سواء كان مكرها على ذلك أو لم يكن . وهو من قال الله فيه ((ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)) .

الحالة الثانية : أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن مع مخالفته لهم في الظاهر فهذا كافر أيضا ، ولكن إذا عمل بالإسلام ظاهرا عصى ماله ودمه ، وهو المنافق .

الحالة الثالثة : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو على وجهين :

أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم وتقييدهم له ، ويهددونه بالقتل فيقولون له : إما أن توافقنا وتظهر الإنقياد لنا ، وإلا قتلناك ، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان ، كما جرى لعمار حين أنزل الله تعالى ((من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)) وكما قال تعالى ((إلا أن تتقوا منهم تقاة)) فالآياتان دلتا على الحكم كما نبه على ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران ..

وهنالك مسائل :

الأولى مسألة : حكم زواج الكافر من المسلمة .

لا يجوز أن يزوج كافر ب المسلمة سواء كان يهودياً أو نصراانياً أو وثنياً أو دهرياً ملحداً، لا يجوز إطلاقاً تزويج الكافر من المسلمة لقوله تعالى:

﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَغْجَبْتُمُّهُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ٢٢١]

قوله: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي لا تزوجوهم من المسلمات حتى يؤمنوا ، فإذا تركوا الكفر ودخلوا في الإسلام جاز تزويجهم من المسلمات. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوتَّهُنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُنَّ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [المتحنة: ١٠] فإذا علمتم أنهن مؤمنات فلا ترجعنهن إلى أزواجهن من الكفار ، لأنه قد انفصل ما بينهم وانفسخ النكاح بين مسلمة وكافر، وكذلك لا يزوج الكافر من المسلمة

= الوجه الثاني : أن يوافقهم في الظاهر مع خالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم وإنما حمله على ذلك إما طمع في رياسته أو مال أو مشحة بوطن أو عيال ، أو خوف مما يحدث في المال فإنه في هذه الحال يكون مرتدًا ولا تنفعه كراحته لهم في الباطن ، وهو من قال الله فيهم ((ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين)) انتهى من كتاب مجموعة التوحيد من

ابتداءً كما في آية البقرة ﴿وَلَا تُنِكِّحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ ولا يستمر زواجه إذا أسلمت وهو كافر بل تفصل عنه ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ فلا يجوز إنكاح الكافر من المسلمة ابتداءً أو استدامة وهذا أمر جمع عليه بين العلماء.

أما تزوج المسلم من كافرة فإن كانت الكافرة غير كتابية فلا يحل بالإجماع لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنِكِّحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنْ﴾ إلا أنه يستثنى من هذه الآية تزوج المسلم من الكتابية وخاص عمومها بآية المائدة وهي قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ ، المراد بالطعام هنا ذبائحهم ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] المحسنات : العفيفات في أعراضهن أما الفاسدة في عرضها فلا يجوز التزوج بها سواء كانت كافرة أو مسلمة لقوله تعالى: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنِكِّحُهَا إِلَّا زَانِ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]، فأباح تزوج المسلم من الكافرة بشرطين :

الأول : أن تكون عفيفة في عرضها غير مسافحة ولا متخذة أخذان.

الثاني : أن تكون كتابية يهودية أو نصرانية .

فيحل للMuslim أن يتزوجها، لكن قد يقال : معلوم ما يكون بين الزوجين من المودة قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] فكيف يتزوج كتابية كافرة ويودها ، فهل يجوز مودة المسلم للكافرة؟ مع قوله تعالى : ﴿لَا تَشَنِّذُوا أَلَّهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْ لِيَهُودَ﴾ [المائدة: ٥١].

فنقول : مودة الزوجية مودة طبيعية لأجل الزوجية ، أما المودة الدينية

فلا تجوز .

الثانية مسألة : مكافأة الكفار إذا أحسنوا إلينا لا محنة لهم وإنما نكافئهم على صنيعهم فقط، قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيرَكُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨] فإذا كان الكفار لم يقاتلوا المسلمين ولم يعينوا من يقاتلهم وكان لهم يد عند المسلمين فإن المسلمين يكافئونهم على إحسانهم، والإسلام يحث على الإحسان ورد الجميل، ولئلا يبقى للكافر على المسلم منة ، ففي رده الجميل فوائد، ومنها أن هذا ترغيب لهم في الإسلام إذا تعاملنا معهم معاملة حسنة وهم لم يقاتلوا ولم يعينوا من يقاتلونا فإذا تعاملنا معهم معاملة حسنة فهذا سبب في دعوتهم إلى الإسلام، ومنها أن هذا مكافأة على جميل صنعوه مع المسلمين، ومنها أيضاً أنه لا يبقى لهم يد على المسلمين إذا كافأناهم على جميلهم ، نقول: أعطيناكم كما أعطيتمونا ولم يبق لكم يد تذلوننا بها.

المسألة الثالثة : المعاملة الدنيوية مع الكفار كتبادل التجارات والمنافع ، فهذا أمر مباح، وما زال المسلمون يستوردون من الكفار السلع منذ عهد النبي ﷺ ويشترون منهم الثياب والمواشي والأسلحة وغير ذلك، وهذا ليس من الموالاة بل من تبادل المنافع، والمصلحة للMuslimين وليس فيه مودة لأنه بيع وشراء .

المسألة الرابعة : يجوز للمسلمين استخدام الكفار في الأمور التي لا يحسنها إلا هم ، ويجوز أن نستفيد من خبراتهم التي لا يعرفها إلا هم أو

أنهم أتقن لها وأعرف بها، ويجوز أن يستأجرهم لأن النبي ﷺ استأجر ابن أريقط ليدله على الطريق وهو كافر ، ففيه دليل على استئجار الكافر للاستفادة من خبرته، لأنه يقدم لنا خدمة ونقدم له أجراً ، فهو مثل البيع والشراء في المنافع التي تحتاجها .

المسألة الخامسة: بر الوالد الكافر قال تعالى : ﴿ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَنْكَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢] فالموافقة لا تجوز بين الكافر والمسلم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ ﴾ ولو كان والداً أو أخاً أو قريباً، لكن يبر الوالد المسلم بوالده الكافر من باب رد الجميل ومقابلة الإحسان بالإحسان، فالإسلام دين كرم ووفاء ومن ذلك بر الوالد المسلم بوالده الكافر قال الله جل وعلا : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَنَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَىٰ وَهُنْ وَفِصَّلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيكَ إِلَىَ الْمَصِيرِ ﴾ ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لِكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ فالولد يصاحب والديه بالمعروف، ويحسن الصحبة بالإنفاق عليهم وبقضاء حوائجهم ولو كان والده كافراً ؛ لأن هذا من باب رد الجميل، ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ أي: في الدين اتبع الرسول ﷺ ولا تتبع دين والديك ، لكن لأنهما أحسنا إليك وربما وأنفقا عليك فأنت ترد جحيلهما ولو كانوا كافرين .

وقد جاءت أم أسماء بنت أبي بكر وهي كافرة فطلبت منها المساعدة

فاستفتت أسماء النبي ﷺ فقالت : إن أمي جاءت وهي راغبة - أي تريد العطاء - أفضليها ؟ قال ﷺ : « نعم، صلي على أمك » ^(١) فأفتاها النبي ﷺ بأن تصل أمها وهي كافرة، وليس هذا من باب المودة والمحبة الدينية وإنما هو من باب رد الجميل إلى الوالد الذي رياك وأحسن إليك، وهذا من باب التعامل الدنيوي أما التعامل الديني بالمحبة والمناصرة والمساعدة فلا، فدين الإسلام دين كرم ووفاء لا يجحد المعروف حتى ولو من الكفار بل يقابلهم بالمعروف والإحسان ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفُهُمَا وَأَتَيْهُمَا سَيِّلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَإِنِّي شُكُّمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

المسألة السادسة: كذلك يجوز للMuslimين أن يداروا الكفار إذا خشي المسلمون من شر الكفار فإنهم يدارونهم قال تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ أَكْفَارِينَ أَوْلِيَّةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ يعني: الذي يتولى الكفار بالمحبة والمناصرة والمظاهر فقد تبرأ الله منه ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْتَثُرُ مِنْهُمْ تُقْنَأَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨] وهي المداراة إذا خشي المسلم من شرهم، وليس هذا من الموالاة بل هو من دفع الضرر عن المسلمين فنحن نداريهم بأن ندفع شرهم بأن نعطيهم من المال دفعة للشر، أو ما يريدون من أمور الدنيا وليس هذا من الموالاة وإنما هو من المداراة لدرء شرهم، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَنْ تَكْتَثُرُ مِنْهُمْ تُقْنَأَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨] والتقاة والمداراة بمعنى واحد .

(١) تقدم تخریجه .

ويُعْصِي النَّاسُ لَا يُفْرَقُ بَيْنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمَدَارَةِ ، فَالْمَدَارَةُ جَائِزَةٌ عِنْدَ الْحُسْنَةِ لِدُفْعِ شَرِّ الْكُفَّارِ ، أَمَّا الْمَدَاهِنَةُ وَهِيَ التَّنَازُلُ عَنْ شَيْءٍ مِّنَ الدِّينِ لِإِرْضَاءِ الْكُفَّارِ فَهَذَا أَمْرٌ لَا يُجُوزُ مُطْلَقاً ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿فَلَا تُطِعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ وَدُعُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوكُمْ﴾ [الْقَلْمَ: ٩-٨] وَقَالَ سَبَّحَانَهُ لَا ذَكْرٌ لِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ ﴿أَفَبِهِنَا الْحَدِيثُ أَنْتُمْ مُّذْهَنُونَ﴾ تُرْكُونَهُ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ الْكُفَّارِ ! فَهَذِهِ هِيَ الْمَدَاهِنَةُ .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا طَلَبَ الْكُفَّارُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَعْبُدُوْا اللَّهَ سَنَةً وَالرَّسُولُ يَعْبُدُهُمْ سَنَةً نَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَنْزَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ يَتَآتِيهَا الْكَافِرُونَ﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وَلَا أَنْتُ عَبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾^(١) [الْكَافِرُونَ: ٦-١] نَهَاهُ أَنْ يَجِبُهُمْ إِلَى ذَلِكَ أَوْ أَنْ يَتَنَازِلُ عَنْ شَيْءٍ مِّنَ الدِّينِ مِنْ أَجْلِ إِرْضَائِهِمْ ، فَلَا يُجُوزُ التَّنَازُلُ عَنِ الدِّينِ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ الْكُفَّارِ مَهْمَا كَلَفَ الْأَمْرُ وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : أَيْ لَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيُرْضِيْهُ وَلَا أَنْتُ عَبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أَيْ لَا تَعْتَدُونَ بِأَوْامِرِ اللَّهِ وَشَرِعِهِ فِي عِبَادَتِهِ ، وَقَالَ سَبَّحَانَهُ : ﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكُمْ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ لِنَفْرِيَ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخْذُلُوكُمْ خَلِيلًا﴾^{٧٣} وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرَ (٤٠٣/٣٠)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمَ كَمَا فِي الْدَرْرِ الْمُنْشَورِ

(٨/٦٥٤) ط. دار الفکر .

شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاهُ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥] فلا يجوز مداهنة الكفار بالتنازل عن شيء من دين الإسلام من أجل إرضائهم، فالمداهنة لا تجوز مطلقاً، وأما المداراة فإنها تجوز عند الضرورة رخصة من الله سبحانه وتعالى **﴿إِلَّا أَن تَكْتَثُرُوا مِنْهُنَّ تَقْنَهُ﴾** [آل عمران: ٢٨] ليدفعوا شرهم، فيجب معرفة هذه المسائل، فبعض الناس يتسهل في إشاعة الموالاة للكفار فيقول هذا من باب حسن التعامل وإظهار الإسلام بظهور المسامح وأنه ليس فيه كراهية وبغض، وهذا كلام باطل، فالإسلام فيه كراهة ومحبة وفيه ولاء وبراء، وليس دين محبة فقط كما يقولون، هذا كلام باطل الإسلام دين عزيز وقوى ولا تسamus معه مع الكفار أو تنازل لهم في شيء من الدين، هناك فريق يدعوا إلى أن المسلمين لا يجاهدون الكفار ولا يقاتلونهم، لأن الإسلام دين رحمة لا قتال فيه.

وهناك فريق آخر يتشدد فيعتبر التعامل مع الكفار مطلقاً موالاة، ولا يفصل هذا التفصيل الذي ذكره الله في كتابه، فينبغي معرفة الأمور وتنزيل الأحكام الشرعية في منازلها، وألا يخلط بين الحق والباطل ولا نقول إن الإسلام لا يتعامل مع الكفار وأنه دين غلظة ولا رحمة فيه، فالإسلام فيه رحمة وفيه غلظة قال تعالى : **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يُؤْنَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَا يَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً﴾** [التوبه: ١٢٣]، وقال سبحانه : **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْنَقَهُ عَلَى الْكُفَّارِ يُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا يَعْرِفُونَ﴾** [المائدة: ٥٤] ، وقال تعالى : **﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ**

مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةٌ بَيْنُهُمْ ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩] أي رحمة بال المسلمين ولكن ليس معنى أنهم أشداء على الكفار أو فيهم غلطة عليهم أنهم لا يتعاملون معهم فيما أباح الله أو أنهم لا يتزوجون من الكتابيات ولا يبيعون معهم ولا يشترون فليس هذا هو المطلوب، فالمصالح التي يحتاجها المسلمون يتداولونها مع الكفار لأن المسلمين بحاجة إليها، أما قضية الدين فليس فيه تنازل ولا فيه تسامح مع دين الكفر، فيجب أن يعرف هذا؛ لأن هذه المسألة التبست على كثير من الناس، ما بين متساهل يدعو إلى أن الإسلام دين مسالم دائمًا، وبين متشدد يرى أنه لا يجوز التعامل مع الكفار بأي طريقة، وكلما الفريقين خطئ ويتتجنى على الإسلام، فالواجب دراسة هذه الأمور ومعرفة الأحكام فيها؛ لأن هذا الباب مهم جداً خصوصاً في هذا الزمان . والله أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .



*الأسئلة :

سؤال: هل إبرام الإتفاقيات معهم على إنشاء المشاريع العسكرية في بلاد المسلمين يعتبر من المظاهر لهم والمناصرة لهم؟

جواب: هذا جائز لأنه لمصلحة المسلمين ، نحن بحاجة إلى أن نتعلم الأمور الحربية وأساليب الحرب وهم يتقنونها أكثر منا ، فلا مانع أن

نستفيد من خبراتهم ، وليس هذا من تبادل المصالح التي يحتاجها المسلمون .

سؤال: هناك من يقتفي بقتل الكفار الذين في الجزيرة العربية وعلوا ذلك بأنهم ليسوا معاهدين ولأن دولتهم تقتل المسلمين باسم الإرهاب فهل هذه الفتوى صحيحة؟

جواب: هذا من فتاوى الجهال والتعالين ، فلا يجوز قتل الكفار الذين جاؤوا بعهد ودخلوا بأمان لأن هذا خدر وخيانة ، ولا يجوز هذا ولو كانوا في جزيرة العرب ، يجوز لهم أن يدخلوا جزيرة العرب للمصالح المتبادلة ، إما سفراء وإما تجار وإما عمال يقومون بأعمال لا يتقنه غيرهم يجوز هذا ، المنوع الاستيطان وتمكن الكفار من الإستيطان في الجزيرة أما أنهم يدخلون الجزيرة للمعاملة والتعامل ثم يخرجون فهذا لامانع منه ، والذي يخرج الكفار وينزعهم من الإستيطان في جزيرة العرب هوولي الأمر ، وليس ذلك من حق كل أحد ، فالخطاب لولاة أمور المسلمين هم يخرجونهم إذا قدوا على ذلك.

سؤال: هل معاملة الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم بالإحسان إليهم هل هو من المودة والمظاهره وكيف تكون؟

جواب: إذا أحسنوا إلينا ، نحسن إليهم ﴿لَا يَنْهَاكُرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَرِكُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة:٨] هذا إحسان منهم ، إذا أحسنوا إلينا

نحسن إليهم في أمور الدنيا ، إذا أعطاك هدية تعطيه هدية ، النبي ﷺ قبل هدية الكفار ، لأن الهدية من التعامل الديني ولا يأس بها.

سؤال: هناك من يقول : إن موالاة الكفار ومظاهرتهم تكون على ثلاثة أوجه :

الأول: أن تكون توليًّا تاماً مطلقاً عاماً فهذا كفرٌ مخرجٌ من الملة.

الثاني: أن تكون لأجل تحصيل مصلحة خاصة وليس هناك ما يلتجئ إليها من خوفٍ ونحوه وهذا حرامٌ ليس بـكفر.

ثالثاً: أن تكون بسبب خوفٍ من الكفار والحكم في ذلك الجواز بشرط أن يكون التولي في الظاهر دون الباطن .

السؤال: هل هذا التقسيم صحيح؟

جواب: التولي على قسمين :

الأول: توليهم من أجل دينهم ، وهذا كفرٌ مخرجٌ من الملة.

الثاني: توليهم من أجل طمع الدنيا مع بغضهم وبغض دينهم وهذا حرامٌ وليس بـكفر.

سؤال: من عاون المشركين على المسلمين بالسلاح أو غيره مكرهاً أو خائفاً على عرضه فهل يعتبر ارتكب ناقضاً من نوافع الإسلام؟

جواب: هذا كما ذكرنا أنه إذا كان مكرهاً يكون من المستضعفين

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٨] أن الله قد

عذرَه إذا كان لا يستطيع حيلة ولا يهتدِي السبيل ، وبقى مع الكفار

اضطراراً فهذا قد عذرَه الله ﴿ فَأَوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ

عَفُوا عَفْوًا ﴿٩٨﴾ [النساء: ٩٨] بشرط أن يكون مبغضًا للكفار ومبغضًا لدينهم.

سائل : هل الحكم بغير ما أنزل الله من الكفر الأصغر أم من الأكبر ؟ وما الدليل على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟

جواب : هذه مسألة واضحة ومبنية في كلام أهل العلم والأئمة ، أن من حكم بغير ما أنزل الله يعتقد جواز ذلك أو أنه أحسن من حكم الله أو أنه مساو لحكم الله أو أنه خير إن شاء حكم بحكم الله وإن شاء حكم بغيره هذا كافر بالإجماع.

أما إذا كان يعتقد أن الواجب الحكم بشرع الله عز وجل وأنه هو الحق وأن حكم غيره باطل ولكن حكم بذلك لأجل رشوة أو لأجل هوى في نفسه في مسألة من المسائل خالف حكم الله متعمداً في مسألة من المسائل لغرض من أغراضه إما هوى في نفسه أو لأجل أخذ رشوة أو مداهنة لأحد بهذه كبيرة من كبائر الذنوب ولكن لا يخرج إلى الكفر ، لأنه يعتقد تحريم ذلك وأنه مخطئ وأنه خالف فيكون كبيرة من كبائر الذنوب ، هذا هو التفصيل في هذه المسألة.

سؤال : هل الخوارج يعتبرون من أهل القبلة ؟ وهل يصلى خلفهم ؟ وما ضابط من يصلى خلفه من أهل القبلة ؟

جواب: اختلف العلماء في الخوارج ، هل هم كفار ، أو هم ضلال وفاسق ؟ على قولين والقول بتكفيرهم أقرب لأن الأدلة دلت على كفرهم ، وأما الصلاة خلفهم فلا تجوز بناءً على أنهم كفار إلا إذا تغلبوا على بلد كما ذكر ذلك الفقهاء ، فالMuslim يصلي خلفهم .^(١)

سؤال: من يكفر الحكام ويطلب من المسلمين الخروج على حكامهم
هل هو من الخوارج ؟

جواب: هذا هو مذهب الخوارج إذا رأى الخروج على ولاة أمور المسلمين وأشد من ذلك إذا كفرهم فهذا من مذهب الخوارج.

سؤال : ما موقفنا من الذين يكفرون حكام المسلمين اليوم جملة وتفصيلا ؟ هل هم من الخوارج ؟ أفيدونا بارك الله فيكم وجزاكم خيرا ؟

جواب : الذين يكفرون حكام المسلمين هؤلاء من الخوارج.



(١) ومن ذهب إلى تكفير الخوارج كما ذكرهم الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: البخاري ، والقاضي أبو بكر ، والسبكي ، والقرطبي ، ونقله أيضاً عن صاحب الشفا - القاضي عياض ، وكذلك صاحب الروضة - النووي - في كتاب الردة.

الدرس العاشر في شرح النافع التاسع

قال رحمة الله : التاسع من اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر .

الشرح .

لا شك أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة عربهم وعجمهم كتاباتهم وأميّتهم وإلى الثقلين الجن والإنس، فأوجب على جميع الخلق من الجن والإنس اتباع الرسول ﷺ وهذا من خصائصه كما قال ﷺ : «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»^(١)، وكما قال تعالى : «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى : «قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَعَامِنُوا بِإِلَهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَلَّا يَرَى إِلَهٌ لَهُ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ كَلِمَتِهِ وَأَتَيْعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [الأعراف: ١٥٨]، وقال عن اليهود والنصارى : «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الْطَّيِّبَاتِ وَيَحِرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَيِثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

الّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ أَمْنَوْا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧] فـأوجب على اليهود والنصارى أن يتبعوا محمداً ﷺ وأن ينصروه وأن يعزروه أي يوقروه عليه الصلاة والسلام، وقال ﷺ: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي وبالذى جئت به إلا دخل النار»^(١).

ورأى ﷺ في يد عمر رضي الله عنه أوراقاً من التوراة فاستنكر ﷺ عليه ذلك وقال : «أمتهوكون يا ابن الخطاب ، لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي » فقال عمر رضي الله عنه : رضينا بالله ربنا ، وبالإسلام ديننا، وبمحمد ﷺ نبياً رسولاً^(٢).

والله جل وعلا أخذ الميثاق على الأنبياء أنه إذا بعث محمد ﷺ وأحد منهم حي أن يتبعه قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَّا أَتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ إِنَّمَا أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشَهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيقُونَ ﴿٨٤﴾ أَفَغَيِّرُ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ فالأدلة واضحة في أن رسالة محمد ﷺ عامة وأن دينه ناسخ لجميع الأديان ولا يبقى دين بعد بعثة محمد

(١) سبق تحريره .

(٢) أخرجه أحمد (١٥١٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٥٠)، وعبدالرازق في المصنف (١٠١٦٤)، وابن عبد البر في الجامع (١٤٩٧).

إلا دين الإسلام الذي جاء به، ولذلك إذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان فإنه يتبع محمداً عليه ويحكم بشرعيته شريعة الإسلام ويكون تابعاً لـ محمد عليه، فلا أحد يسعه الخروج عن شريعة محمد عليه من الإنس والجن ، قال الله جل وعلا : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ كَالْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِثُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَقُولُونَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ يَقُولُونَا أَجِبُّوا دَاعِيَ اللَّهِ وَأَمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْرِيْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُحِبَ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجن: ٢٩-٣٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن: ١] فسورة الجن فيها عموم رسالة محمد عليه للجن ، فرسالته عليه عامة إلى الثقلين تجب طاعته على جميع الإنس والجن ، ومن لم يستجب ولم يتبعه فهو من أهل النار قطعاً لأنه كافر بالله وبرسوله عليه ، فالذين يقولون إنه يسع أحداً الخروج عن شريعة محمد عليه ويستدللون على هذا بقصة الخضر مع موسى عليه السلام ، فقصة الخضر كما ذكرها الله في القرآن في سورة الكهف أن موسى عليه السلام قام خطيباً في قومه فسألوه: هل هناك من هو أعلم منك على وجه الأرض؟ قال: لا . قال الله تعالى: إن لي عبداً من عبادي في أرض كذا وكذا عنده علم ليس عندك، فذهب موسى إلى ذلك العبد يطلب العلم عنده قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَنَةٌ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَتَلْعَنَ مَجْمَعَ الْبَحَرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبَاً ﴾ [الكهف:

٦٠] إلى أن وصل إلى الأرض التي فيها الخضر فقال له : ﴿ هَلْ أَتَيْعُكَ عَلَىٰ أَن تُعِلَّمَ مِمَّا عِلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] يعرض عليه وما يأتيه بالغلظة والشدة وإنما يتADB المتعلم مع العالم ﴿ هَلْ أَتَيْعُكَ عَلَىٰ أَن تُعِلَّمَ مِمَّا عِلَّمْتَ رُشْدًا رُشْدًا ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ﴾ إلى آخر القصة، التي فيها خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، واستغرب موسى عليه السلام هذه الواقع؛ لأنه لم يكن يعلم أسبابها ، بين له الخضر لماذا عمل هذه الأعمال وأن هذا بأمر الله تعالى وقال: ﴿ وَمَا فَعَلْنَا عَنْ أَمْرٍ ﴾ [الكهف: ٨٢] بل هو من أمر الله سبحانه وتعالى ، وقال موسى : إنني على علم علميه الله ليس عندك، وإنك على علم علمك الله إيه ليس عندي^(١).

وقد اختلفوا في الخضر: هل هونبي أو ولد؟ على قولين :
القول الأول : أنهنبي، لأن هذه الخوارق من المعجزات التي لا تكون إلا لنبي .

والقول الثاني : أنه ولد وليسنبياً وهذه الأمور كرامات الأولياء وليس من المعجزات ، والأولياء تجري على أيديهم كرامات خوارق للعادات .

ثم هل الخضر حي أو ميت ؟

الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة أنه ميت، قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا

(١) أخرج القصة البخاري برقم (٧٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب تعرفه .

لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدُ أَفَإِنَّ مِتَّ فَهُمُ الْخَلِدُونَ ﴿٣٤﴾ [الأنبياء : ٣٤] الله جل وعلا أخبر أنه ليس لأحد الخلد من هذا الخلق، وأن الخلق كلهم يموتون » كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ﴿٢٦﴾ [الرحمن : ٢٦] والحضر عبد من عباد الله من بني آدم يأتي عليه الفناء كغيره ، ثم لو كان حياً لما وسعه إلا أن يأتي إلى محمد ﷺ ويتبعه؛ لأن الرسول ﷺ أرسل إلى الناس كافة، فلو كان حياً حين بعثة محمد ﷺ لجاء إليه واتبعه ولم يذكر أنه جاء إلى النبي ﷺ فهذا دليل على أنه ميت، وهذا هو القول الحق، وأما من يقول إنه حي فليس له دليل واضح .

والعجب أن هناك رسالة نسبت إلى شيخ الإسلام ابن تيمية فيها أن الحضر حي، وقد طبعت في مجموع الرسائل^(١) خطأ ، وبينما له رسالة أخرى تنفي حياة الحضر وهي في مجموع الرسائل أيضاً^(٢) . فهذه الرسالة التي نسبت إلى الشيخ في حياة الحضر غير صحيحة، ولو كانت صحيحة فالاعتماد على رسالته الثانية التي تابع فيها الأدلة، والإنسان إذا كان له قولان أحدهما موافق للأدلة والثاني مخالف أخذ بالذي يوافق الأدلة .

وماذا لم يتبع الحضر موسى - عليه السلام - ؟

الجواب : أن موسى عليه السلام ليست رسالته عامة ، فرسالته خاصة لبني إسرائيل ولم يرسل إلى الناس كافة، فهو كغيره من الأنبياء

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣٣٨) وفي حاشيتها مكتوب « هكذا وجدت هذه الرسالة » .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٣٣٧) .

قبل محمد ﷺ رسالتهم خاصة إلى أقوامهم قال ﷺ : « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »^(١) فموسى عليه السلام إنما بعث إلى بني إسرائيل ولم يبعث إلى الناس كافة.

فلا يقال: أن الخضر خرج عن شريعة موسى، لأنه لم يكن من أمة موسى أصلاً حتى يقال خرج.

والخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم أنواع :

منه ما هو كفر ، ومنه ما هو ضلال دون الكفر.

ومنه خروج كلي، ومنه خروج جزئي، فالذي يخرج عن الشرع أو عن شيء منه ويستحل ذلك فإنه يكفر، والذي يخرج ولا يستحل الخروج فهذا ضال ليس بكافر .

والذين يقولون : إن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما خرج الخضر عن شريعة موسى موجودون ، وهم غلة الصوفية، فهم يقولون : إن الصوفي إذا بلغ مرتبة من المعرفة بالله فإنه ليس بحاجة إلى الرسول لأنه وصل إلى الله ، والرسول ﷺ بعث إلى العوام وهو لاء خواص وقد وصلوا إلى الله وليسوا بحاجة إلى رسول.

ويقولون : إننا نأخذ علمنا عن الله مباشرة، وأنتم تأخذون علمكم عن الأموات، ميت عن ميت - يعنون الأحاديث والأسانيد - وأما نحن فنأخذ عن الله، كذا يقولون ؟.

بل إنهم يقولون : إن التكاليف تسقط عنهم لأنهم وصلوا إلى الله؛

(١) تقدم تخرجه .

فلا يصلون، ولا يعبدون الله عز وجل ، والعبادة إنما هي للعوام عندهم وكذلك لا يحرم عليهم شيء ، والأوامر والنواهي والحلال والحرام هي للعوام عندهم للذين لم يصلوا ، أما هم فقد وصلوا وليس في حقهم حلال ولا حرام، فيستبيحون الزنا واللواء والمحرمات.

ويقولون: نحن ما علينا تحريم ووصلنا إلى غاية تخرجنا من دائرة التكليف، وهم في الحقيقة قد صدقوا لأنهم خرجموا من دائرة التكليف إلى دائرة المجانين، لأن من بلغ هذا الحد فهو مجنون ليس عليه تكليف، أما أنه ليس عليه تكليف من الله عز وجل لأنه وصل بهذا افتداء على الله عز وجل وكفر برسالات الله ، فلا أحد يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ مهما بلغ من العبادة والعلم والمعرفة بالله بل كلما زاد علمه فإنه تزيد طاعته واتباعه للرسول ﷺ ، فيجب عليه من الطاعة والاتباع أكثر مما يجب على غيره من لا يعلم ، هذا معنى قول الشيخ « من زعم أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ » فمن زعم ذلك فهو مرتد عن دين الإسلام، لأنه كفر بالقرآن والرسول ﷺ ، فকفره بالإجماع، وغلاة الصوفية - وما أكثرهم اليوم - في كتبهم من الخرافات والأكاذيب والجراءة على الله ورسوله الشيء الكثير ، وقد رد عليهم أهلم العلم وأبطلوا ترهاتهم وشبهاتهم، ومن أقوى من رد عليهمشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ورد عليهم جماعة من العلماء المعاصرين كعبد الرحمن الوكيل رحمه الله فله كتاب اسمه « مصرع التصوف ».

وهذا الناقض يشمل : العلمانيين الذين يقولون بفصل الدين عن

الدولة، وأن الدين والعبادات في المساجد وأما المعاملات وأحكامها وأحكام السياسة فهذه لا تدخل في دين الرسول ﷺ وأن الناس هم الذين يتحكمون فيها ، هذا قول العلمانيين، ويقولون : الدين لله والوطن للجميع، وهم يلحقون بركب غلاة الصوفية الذين يقولون إن أحداً يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ ، وهؤلاء العلمانيون يقولون: إنه يسع الخروج عن شريعة محمد ﷺ في السياسة والمعاملات.

وكذلك علماء الكلام والمنطق لهم نصيب من هذا وهم الذين يخرجون العقائد عن أدلة الكتاب والسنة ويقولون: إن أدلة الكتاب والسنة سمعية تفيد الظن، أما الأدلة العقلية فهي يقينية تفيد اليقين، والعقائد لا يستدل عليها بأدلة الكتاب والسنة لأنها أدلة ظنية، وأما أدلة علم الكلام والمنطق فهي أدلة يقينية عندهم ، ولذلك تجد أن عقائدهم مبنية على علم الكلام والجدل وعلم المنطق ولا يستدللون بآية ولا حديث عن الرسول ﷺ ، فهذا خروج عن شريعة النبي ﷺ في أهم شيء وهو العقيدة.

والذي يجب على المسلم أن يتبع الكتاب والسنة في جميع الأمور في الآداب والعقائد والمعاملات والأخلاق وفي جميع الأمور، لأن رسالة النبي ﷺ شاملة وصالحة لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة لأن الذي أنزلها هو الله العزيز الحكيم الذي يعلم أنها صالحة لكل وقت إلى أن تقوم الساعة، فهي تنزيل من حكيم حميد ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكَتَبَ عَزِيزٌ ﴾ ﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢-٤١] فهي شاملة وصالحة لكل زمان ومكان لا يسع المسلم

أن يخرج عنها.

ويدخل في هذا الناقض أيضاً الذين يقولون : إن الشريعة إنما هي للزمان الماضي أما الوقت الحاضر فلا تصلح له الشريعة، لأنها حديث عاملات وجدت أمور لا تتناولها الشريعة، وهذا معناه أن الشريعة قاصرة عندهم وليس من حكيم حميد، فلا شك في كفر من يقول هذا المقال، وهذا داخل فيمن يزعم جواز الخروج عن شريعة محمد ﷺ ويقول : إن الشريعة لا تنطبق على هذا الزمان وإنما تنطبق على الزمان الذي مضى، وما أكثر من يقول هذا المقال. والإمام مالك رحمه الله يقول : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها^(١). والذي أصلح أولها هو الكتاب والسنّة فلا يصلح آخرها إلا الكتاب والسنّة ، فشريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة، لا تتهي بالنقص أو القصور لأن الله سبحانه وتعالى حكم لها بالكمال ، قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِمْ أَكَمَّتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ بِغَمَّتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فما توفي النبي ﷺ إلا الدين كامل وشامل ، ومن كماله أنه يصلح لكل زمان ومكان، ولو لم يكن يصلح لكل زمان ومكان لم يكن كاملاً بل صار ناقصاً فالله شهد له بالكمال وهو لاء يقولون إنه ليس بكمال لأنه لا يصلح لهذا الزمان.

وكذلك يدخل في هذا : من ابتدع بدعة في الدين أو أحدث حدثاً

(١) وقد روى هذا الأثر ابن عبد البر في التمهيد (١٥/٢٩٢) ط. الفاروق بسند صحيح عن مالك قال : كان وهب بن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم أبداً حتى يقول : أعلموا أنه لا يصلح آخر هذه الأمر إلا ما أصلح أوله . اهـ.

يظن أنه خير وأنه تقرب إلى الله عز وجل هذا نوع من الخروج عن شريعة محمد ﷺ لأنه لم يسعهم ما شرعه الله عز وجل إنما أتوا بزيادات ومعنى هذا أن الدين غير كامل وأنه بحاجة إلى زيادات وهذا قال ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »^(١) ، وقال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(٢) ، وقال ﷺ : « ولما يأكلكم ومحدثات الأمور فأن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله »^(٣) فالخروج عن شريعة محمد ﷺ يشمل هذه الأنواع كلها ولكن بعضها أشد من بعض، وبعضها كفر وردة، وبعضها ضلال دون الكفر، فالذي عليه أقطاب الصوفية من الخروج عن شريعة محمد ﷺ هذا كفر واضح.

وكذلك من تشبه بهم في بعض الأمور فهو خروج عن شريعة محمد ﷺ بقدرها. فالواجب على المسلم الالتزام بالكتاب والسنّة واعتقاد أنهما كاملان شاملان صالحان لكل زمان ومكان وألا يكون لديه شك أو تردد في ذلك دائماً وأبداً.

نعم ، وقد تخفي بعض الأمور على بعض الناس ولا يجدون لها حكماً في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وذلك لقصور أفهمهم لا لقصور الكتاب والسنّة، وإنما فلو كان عندهم علم صحيح وبصيرة نافذة لوجدوا أن الكتاب والسنّة مشتملان على كل ما يحتاجه البشر إلى أن تقوم الساعة، والذي لا يجد هذا عليه أن يتهم علمه وفهمه ولا يتهم

(١) تقدم تخریجه .

(٢) تقدم تخریجه .

(٣) تقدم تخریجه .

الكتاب والسنّة ويقول: إنّهما لم يشتملا على كذا وكذا.

ثم نعلم أيضًا أن أمور العادات والمباحات لا تدخل في الابتداع كالحرف والصناعات ، وهذه جاء في الكتاب والسنّة ما يشملها يقول الله تعالى : ﴿ وَسَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣] حتى المباحات ، والمخترعات ، والمستجدات ، والصناعات يشملها الكتاب والسنّة، وقد وجه الله في كتابه إلى أمور الدنيا وتناولها والانتفاع بها والاستعاة بها ، لكن أفهم الناس ومذاهبهم قد تقصير عن هذا وإنما هذا عيب في إدراك الناس، فالكتاب والسنّة كاملاً شاملان صالحان لكل زمان ومكان، وشريعة محمد ﷺ شاملة كاملة وهي عامة لجميع الثقلين الجن والإنس لا يسع أحداً بعد بعثة محمد ﷺ أن يخرج عن شريعته كائناً من كان، فإن خرج عنها خروجاً كلياً فهو كافر قال ﷺ : «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بي إلا دخل النار»^(١) وإذا كان هذا في أهل الكتاب فكيف بغيرهم؟ لأن الكتاب السابق انتهى بالنسخ وهذا القرآن نسخ جميع الكتب، وشريعته ﷺ نسخت جميع الشرائع، والشرع تكون مؤقتة والله جل وعلا يشرع لكل أمة ما يناسبها وما يصلحها في وقتها قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرَعَةً وَمِنْهَا كَجَاءَ ﴾ [المائدة: ٤٨] فيشرع لكل أمة ما يناسبها في وقتها ثم يتنهى ذلك بشرع آخر إلى أن جاءت شريعة الإسلام منذ بعثة النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة، فهي عامة في الزمان، وعامة في المكان ، وعامة في العباد إلى أن تقوم الساعة لا تتبدل ولا تتغير، فمن زعم أن الرسول ﷺ بعث

(١) سبق تخرجه .

إلى العرب خاصة كما تقوله طائفه من النصارى فهذا كافر بالله عز وجل، فمن النصارى من يقول : إن محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه رسول من عند الله ولكن رسالته إلى العرب فقط ، وهذا كافر بالله عز وجل لأنّه جاحد لعموم الرسالة ، ولذلك من ادعى النبوة بعد محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه فهو كافر لأن الله جل وعلا جعل محمداً خاتم النبيين ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] والخاتم هو الذي لا يأتي بعده نبي، وهذا قال صلوات الله عليه وآله وسلامه : « سيكون بعدي كذابون ثلاثة كلهم يدعى أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » ^(١) فالناس ليسوا بحاجة إلى نبي، لأن النبي يبعث حاجة الناس والله أغنامهم بالكتاب والسنة المستمرة إلى قيام الساعة، فليسوا بحاجة إلى نبي أو إلى شريعة غير شريعة محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ، فالفترقة مملوكة بشريعة الإسلام إلى قيام الساعة، أما شرائع الأنبياء فيعمل بها في وقتها، فكل شريعة يعمل بها في وقتها ولا تتجاوزه، ووقت هذه الشريعة هو هذا الوقت الواسع من البعثة إلى قيام الساعة، فهي غنية متتجددة في أحكامها وقرآنها وستتها، فالبشرية ليست بحاجة إلى رسول بعد محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ، وليس بحاجة إلى كتاب بعد القرآن، وليس بحاجة إلى شريعة بعد شريعة محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وهذا من ادعى أنه نبي و من صدق ذلك يكون كافراً مرتداً عن دين الإسلام، ويكون مكذباً لله ورسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه وإجماع المسلمين في عموم الرسالة التي بعث بها

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٧٨)، والترمذى (٢٢١٩)، وأبوداود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، والحاكم (٤/٤٤٩) وصححه على شرط الشيخين . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

محمد ﷺ، فإذاً لا يسع أحداً كائناً من كان الخروج عن شريعة محمد ﷺ .. هذا وسائل الله الفقه في دينه والعمل بشرعيته وأن ينجينا طريق الضلال والغواية .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* الأسئلة :

سؤال: هل من ادعى الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم يكون قد ادعى النبوة وبهذا يكون كافرا؟

جواب: ما كل من خرج عن الشريعة يكون مدعياً للنبوة ومن ادعى الخروج في العبادة فرأى أنه لا يلزمـه أن يعبد الله على طريقة الرسول ﷺ مثل الصوفية ، يقولون : نحن لسنا بحاجة إلى الرسول ﷺ نحن وصلنا وعرفنا ، والذي يدعـي الرسالة هذا نوع آخر ، والذي يدعـي أنه يسعـه الخروج ، يـكفر ولو لم يـدعـ الرسالة .

سؤال: هل من شكـ أنه يـسعـ بعض الناس الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، حكمـه حكمـ من يـعتقد ذلكـ؟

جواب: نـعمـ من شكـ في عدم جوازـ الخروج عن شريعة محمد ﷺ ، فإنه يـكفرـ ، بمـجرـدـ الشـكـ والـتـرـددـ.



الدرس الحادي عشر في شرح النافع العاشر

قال رحمة الله : الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلم ولا يعمل به والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذِكْرَ بِيَاتِ رَبِّهِ، ثُرَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

الشرح .

الأيات الدالة على كفر الإعراض كثيرة مثل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أَنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذِكْرَ بِيَاتِ رَبِّهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَفِّقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيَّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِيبٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُعْرِضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَدَدًا ﴾ [الجن: ١٧] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْنِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدَى فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَائِي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَاهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنَسِّي ﴿ طه: ١٢٣-١٢٦] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَنَّكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبه: ١٢٧] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ

الرَّسُولُ يَتَنَحَّىُ كُمْ كَذِيلَةَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِيَ حَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابًَ أَلِيمًَ [النور: ٦٣] فالله سبحانه وتعالى حذر في هذه الآيات من الإعراض عن ذكره وهو القرآن والسنة وعدم تعلمها وعدم العمل بها بأنواع من الوعيد، وإلى جانب ذلك فإن الله سبحانه وتعالى رغب في تعلم العلم النافع والعمل به قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الَّذِينَ وَلَيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبه: ١٢٢] ، وقال نبينا ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »^(١) . فالتفقه في الدين وتعلم العلم النافع من علامات الخير الذي أراده الله للإنسان، والإعراض عن التفقة في الدين من علامات الشر، وتعلم العلم على قسمين :

القسم الأول : قسم فرض عين على كل مسلم لا أحد يعذر بجهله، وهو ما لا يستقيم دين العبد إلا به من معرفة العقيدة الصحيحة وما يصادها، أو ينقصها، ومعرفة أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة، أي أركان الإسلام الخمسة فلا بد لكل مسلم ومسلمة أن يتعلمها ، وإنما كيف يؤدي دينه على الوجه المشروع إذا لم يتعلم هذه الأركان الخمسة ؟

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

القسم الثاني : ما تعلمه فرض كفاية وليس على كل مسلم بل على من عنده الاستعداد لذلك، وهو تعلم بقية أبواب العلم من فقه المعاملات وفقه المواريث وفقه الأنكحة، وفقه الحدود ، وإلى غير ذلك، فهذا العلم تعلمه فرض كفاية حاجة الناس إليه، وإذا قام به من يكفي سقط الفرض عن الباقي، ويقي في حق الباقي سنة من أفضل السنن، لأنه قد لا يتسعى لكل أحد أن يتعلم هذه الأبواب من العلم، فلذلك صار تعلمها فرض كفاية على المسلمين.

« والإعراض» معناه الانصراف عن الشيء مع عدم الرغبة فيه.

« لا يتعلم » أي : لا يتعلم دينه رغبة عنه لا كسلًا أو عدم قدرة، وهذا يكفر لأنه لا يريد الدين، فإذا أعرض عن تعلمه كفر ؛ لأنه لو كان له في الدين رغبة لتعلمته ومن هؤلاء من ينادون الآن بتنمية المناهج الدراسية من العلوم الدينية لأنها بزعمهم تزرع التشدد والغلو والتطرف والإرهاب، وكذلك من يتعلمه ولكن لا يعمل به، وهذا أيضًا يكفر ويرتد عن دين الإسلام، فإذا كان لا يصلح ولا يصوم ولا يؤدي الزكاة، ولا يحج ولا يؤدي الواجبات ولا يتتجنب المحرمات فهذا لا رغبة له في العمل فهذا يكفر، وفي هذا رد على المرجئة الذين يقولون : إن العمل ليس بلازم، يكفي الاعتقاد بالقلب والتصديق بالقلب ولو لم يعمل، فالشيخ هنا يقول : «إذا لم ي عمل » أي رفض العمل مع قدرته عليه وتمكنه منه، أبي أن يصلح أو يصوم أو يزكي أو يحج الفريضة أو أبي أن يجتنب المحرمات، ويؤدي الواجبات فهذا يكفر، لأنه لم يعمل بالدين، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَنْ يَكُفِرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي﴾

الآخرة من الخسرين [المائدة: ٥] فلابد من الأمرين : تعلم أمور الدين، وهي الأمور التي لا يستقيم الدين إلا بها، والأمر الثاني : العمل بها .

فلابد من العلم والعمل ، لا يصلح علم دون عمل ، ولا يصلح عمل دون علم ، فهما قرینان ، والله تعالى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ [التوبه: ٣٣] ، والمهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح، فالرسول ﷺ بعث بالأمرتين، لم يبعث بالعلم فقط ، ولم يبعث بالعمل فقط وإنما بعث بالأمرتين فهما قرینان.

والذين أخذوا العلم وتركوا العمل هم المغضوب عليهم [الفاتحة: ٧] من اليهود ومن نحا نحوهم من تعلم دين الله ولم يعمل به، والذين أخذوا العمل وتركوا العلم هم النصارى ومن وافقهم من المتباعدة والمتصوفة الذين يعبدون الله على جهل وضلاله ولا يعبدون الله على علم ، ويقولون : تعلم العلم يعوق عن العمل ، أو يقولون: إذا عملت فإن العلم يأتيك تلقائياً بلا تعلم، بأن يفتح على قلبك ويأتيك العلم دون أن تتعلم على العلماء. وهذا هو قول الصوفية قدماً وحديثاً ، يزهدون في تعلم العلم والجلوس عند العلماء ويقولون: المطلوب العمل، وإذا عملت وعبدت الله فتح الله عليك العلم بدون أن تتعلم، وهذا ضلال والعياذ بالله .

فالذي يرفض تعلم العلم رغبة عنه يكون كافراً، والذي يرفض العمل بالعلم نهائياً يعتبر كافراً أيضاً ، وهذا قال الشيخ رحمه الله : « الإعراض عن دين الله لا يتعلم ولا يعمل به » فلا يتعلم هذه طريقة **الضاللين** [الفاتحة: ٧] من النصارى والمتصوفة

وغيرهم، ولا يعمل به : هذه طريقة اليهود ومن نحا نحوهم من كل عالم لا يعمل بعلمه .

والمراد من تعلم العلم هو العمل به، لا يتعلم العلم مجرد المعرفة، أو ليقال هو عالم، أو للمدح ولا يريد للعمل وإنما يريد هذه الأمور، مجرد المعرفة وللمدح وللثناء ولارتفاع مكانه عند الناس، فمن كان هذا همه وقصده فهو من أول من تشعر بهم النار يوم القيمة، فأول من تشعر بهم النار يوم القيمة ثلاثة : مجاهد ومتصدق ومتعلم^(١) .

فالمجاهد الذي جاهد فقتل يأتي يوم القيمة فيقول الله له : ماذا عملت؟ فيقول : يا رب جاهدت فيك حتى قُلت. فيقال له : كذبت، ولكنك قاتلت ليقال : هو جرئ . وقد قيل ، ثم يسحب إلى النار .

ثم يؤتى بالمتصدق فيقال له : ماذا عملت؟ فيقول : ما تركت من سبيل تحب الإنفاق فيه إلا أنفقت فيه. فيقول الله : كذبت ولكنك تصدقت ليقال : هو جoward ، وقد قيل . ثم يسحب إلى النار.

ثم يؤتى بالعالم فيقال له : ماذا عملت؟ فيقول : تعلمت فيك العلم وتعلمنته . فيقول الله : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : هو عالم . وقد قيل ، فيسحب إلى النار .

ويبدأ به قبل عباد الأوثان فيقول: كيف نعذب قبل عبادة الأوثان؟

(١) يشير الشيخ - حفظه الله - إلى الحديث الذي أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥)، والترمذى (٢٣٨٢)، والنسائى (٣١٣٧)، وأحمد (٨٢٧٧) من حديث أبي

فيقال له : ليس من يعلم كمن لا يعلم .
فالأمر مهم جداً، أمر التعلم وأمر العمل، فمن رفضهما أو رفض أحدهما فإنه يكون مرتدًا عن دين الإسلام .

ومن الناس من يرفض قبول العلم إذا بلغه استكباراً على الحق ورداً للحق ، فهذا يكون مع المستكبرين ، وهذا من كفر الاستكبار عن الحق.
ومن الناس من يرفض تعلم الدين ، عن عدم رغبة ، وإعراضًا ، فهذا يكون مع المعرضين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

ومن الناس من يرفض الدليل وقبول الحق إذا بَيِّنَ له حافظة على دين آبائه وأجداده حمية ولا يقبل الحق ويبقى على ما هو عليه وما أدرك عليه آباءه وأجداده كما كان عليه المشركون، فالذين يعبدون القبور لا يقبلون حقاً ولا يقبلون جدالاً ، فهم مقتنعون بما هم عليه تماماً، ولا يقبلون توجيههاً أو إرشاداً، يغلقون أسماعهم عن قبول الحق، ويصررون على ما هم عليه، بل ربما يقاتلون دونه، ويبذلون أنفسهم دون هذه العقائد الباطلة ولا يقبلون الحق مهما يسمعون من القرآن والسنّة ويسمعون النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد، ولا يلتفتون إلى ما في القرآن بل هم معرضون عنه ، وهذا من الإعراض عن الدين الصحيح والرضا بالدين الباطل، وهذا كثير في الناس اليوم، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَـمَنُوا يَأْتِنَطِلِ وَكَـفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢] فهو لاءٌ يؤمنون بالباطل ويکفرون بالله، ويعبدون غيره ويدعون غيره ويستغيثون بغيره، ويؤمنون بعبادة غير الله ويکفرون بالله

علناً وجهاراً، هذا هو الإعراض الكفري - والعياذ بالله - حية وأنفة.

ولما حضرت أبا طالب الوفاة وكان موقفه كما تعلمون من الدعوة وحماية الرسول ﷺ وحماية الدعوة ولكن لم يدخل في دين الرسول ﷺ جاءه النبي ﷺ إشفاقاً عليه وهو في الاحتضار فقال له : « يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » ، وكان عنده أناس من المشركين فقالوا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ - عرفوا أنه إذا قال : لا إله إلا الله فقد ترك ملة عبدالمطلب وهي عبادة الأصنام - ، فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادوا عليه وقالوا: أترغب عن ملة عبدالمطلب ، فقال : هو على ملة عبدالمطلب ، فابي أن يقول لا إله إلا الله ومات على ذلك . حية لدين عبدالمطلب ودين الشرك ، فأعرض عن قبول التوحيد فصار في النار والعياذ بالله . فقال النبي ﷺ : « لا تستغفرن لك ما لم أنه عنك ». فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِي قُرْبَةٍ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَضَحَّبُ الْجَحَّامِ﴾ وأنزل في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾^(١).

ودخل ثلاثة المسجد والنبي ﷺ يحدث أصحابه، فواحد من الثلاثة جاء وجلس في الحلقة راغباً في التعلم، والثاني: استحيا أن ينصرف وجاء فجلس، والثالث أعرض وخرج، فقال النبي ﷺ : « ألا أخبركم بخبر الثلاثة ؟ » قالوا : بل يا رسول الله . قال : « أما أحدهم فقد أوى

(١) تقدم تخرجه .

فأواه الله، والثاني استحيا فاستحجا الله منه، والثالث أعرض فأعرض الله عنه ^(١) ، فهذا جزاء المعرضين عن تعلم أمور دينهم.

وهناك أناس من دعاة السوء يقولون : لا تعلموا الناس التوحيد والعقيدة ، لا تعلموا شباب وأولاد المسلمين العقيدة ، لأنهم مسلمون ولا يحتاجون إلى تعليم ، مسلمون بالبيئة لا يحتاجون لأن يتعلموا التوحيد.

اليس هذا من الإعراض عن تعلم الدين؟

هذا هو الإعراض عن تعلم الدين، لأن الدين لا يؤخذ بالوراثة والبيئة، الدين يؤخذ بالعلم والتعلم ، فلا بد من تعلم الدين وتعليمه والعمل به، فالذي لا يتعلم الدين رغبة عنه ولا يعمل به إذا تعلمه وإن كان يقول : لا إله إلا الله فهو مرتد مرتكب لناقض من نوافض الإسلام، وهذا الأمر خطير .

والإعراض إذا كان عن تعلم أصول الدين والعقيدة وعدم رغبة فيها فهذا ناقض من نوافض الإسلام، وأما إذا كان الإعراض عن تعلم تفاصيل الدين وتفاصيل الأحكام بسبب الكسل أو عدم التفرغ لذلك فهذا معصية ولا يعد ناقضاً من نوافض الإسلام، وأما أصول الدين والتي لا يستقيم دين العبد إلا بها فمن أعرض عن تعلمها زهداً فيها فإنه ينقض إسلامه ، وأما الأمور التفصيلية وأحكام المعاملات كما سبق فذلك فرض كفاية ، فيكونون تاركين لسنة وعندهم نقص في تعلم

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦)، والترمذى (٢٧٢٤) من حديث أبي واقِدِ الليثي رضي الله عنه.

الأحكام لقلة نشاطهم أو كسلهم أو عدم فهمهم ، لأن من ترك العلم الذي تعلمه فرض كفاية يكون تاركاً لسنة أو تاركاً لوااجب . فيجب أن تعرف هذه الأمور وهذه الضوابط في الإعراض متى يكون كفراً؟ ومتى يكون معصية؟ .

وعلى كل حال فإن تعلم العلم لا شك أنه هو الحياة، وهو النور، وهو الذي أمر الله عز وجل به وأمر به رسوله ﷺ ورغم فيه قال ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » ^(١) ، وقال ﷺ : « وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع » ^(٢) ، فهذا ترغيب في تعلم العلم والإقبال عليه ليستقيم به دين العبد ولينتفع به وينفع غيره، ولا شك أنه إذا فقد العلم والعلماء هلكت الأمة كما قال ﷺ : « إن الله لا يقبض هذا العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالم اخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتووا بغير علم فضلوا وأضلوا » ^(٣) ، فالفتوى بغير علم ضلال وإضلal، فلا بد أن تكون الفتوى عن علم من الكتاب والسنة ولا فإنها تكون ضلالاً وهلاكاً وهذا لا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) جزء من حديث تقدم تخرجه .

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

يحصل إلا بالتعلم قبل أن يفوت الأوان، ما دام العلماء موجودين، قبل أن لا يبقى عالم فحيثند يلجم الناس إلى الجهل والتعاليم القراء فيفتون بغير علم فيفضلون ويُفضلون .



الدرس الثاني عشر في خاتمة شرح النواقض العشرة

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « ولا فرق في جميع هذه النواقض بين
الهازل والجاد والخائف إلا المكره » .

الشرح :

قوله : « ولا فرق في هذه النواقض » لا فرق في جميع هذه النواقض « بين الهازل والجاد » الهازل هو المازح الذي يقول كلاماً فيه ردة وهو يمزح ، والجاد هو الذي يقصد ما يقول ، والدليل على ذلك قصة الذين ذكرهم الله في القرآن في مرجع النبي ﷺ من غزوة تبوك فجلسوا يتحدثون فقال واحد منهم : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أكذب ألسنة وأرgeb بطوناً وأجبن عند اللقاء - يعنون النبي ﷺ وأصحابه - وكان في المجلس شاب يقال له عوف بن مالك فأنكر عليهم وقال هذا المتalking : كذبت، ولكنك منافق، لأنك أخبرت رسول الله ﷺ ، فذهب ليخبر النبي ﷺ فوجد الوحي قد سبقه بخبر هؤلاء ، فجاءوا يعتذرون إلى النبي ﷺ من مقالتهم فقالوا : يا رسول الله ، كنا نتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. فالرسول ﷺ لا يلتفت إليهم ولا يزيد عن تلاوة الآية : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُونَ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهٍ وَإِيمَانِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ لَا تَعْنَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾

فقال لهم : قد كفرتم بعد إيمانكم^(١) ، مع أنهم يقولون: ما نحن بجادين وإنما كنا ننزح ، فلم يعذرهم الله سبحانه وتعالى ولارسوله ﷺ ، فلا فرق بين الجاد والهازل.

قوله : « والخائف » : الذي يقول : كلمة الكفر أو يفعل فعل الكفر خوفاً من الكفار لا يعذر ، لأن يقول : كلمة الكفر أو يفعل فعل الكفر كان يذبح لغير الله أو يسب الإسلام والمسلمين لأجل الخوف من الكفار أو يتنازل عن شيء من أمور دينه خوفاً من الكفار ، لأن هذا مداهنة ، قال تعالى : ﴿ وَدُّوا لَّوْ تَدْهِنُ فَيَدْهُنُونَ ﴾ [القلم: ٩] ، وقال تعالى : ﴿ أَفِهَنَّا لَهُدِّيْتُمْ مُّذْهُنَّوْنَ ﴾ [الواقعة: ٨١] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لِيَقْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنَفْرِيَ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَأْتَهُمْ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّنُوكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤] فالمداهنة لا تجوز في دين الله حتى لو كان الإنسان خائفاً بل يجب عليه أن يتمسك بدینه مع الخوف ما لم يصل إلى حد الإكراه ، فإذا وصل إلى حد الإكراه ، فيجوز له أن يعطيهم شيئاً مما طلبوا ليدفع عنه الإكراه بشرط اطمئنان قلبه بالإيمان ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَشْتُوْءُ مِنْهُمْ ثُقَّةً ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَا كَنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرَأُمْ ﴾ [النحل: ١٠٦] فلا بد من هذه الشروط :

الشرط الأول : أن يكون مكرهاً لا خائفاً فقط ولا بجاملأً للكفار ليحظى عندهم بمنزلة أو ينال منهم منفعة ، فلا يجاملهم في دين الله.

(١) تقدم تخرجه .

الشرط الثاني : أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان إنما يقول بلسانه فقط مع بقاء الإيمان في قلبه .

الشرط الثالث : أن يكون قصده دفع الإكراه لا إرضاء الكفار، كما حصل لعمار بن ياسر رضي الله عنه الذي هو سبب نزول هذه الآية ، وهو أن الكفار أخذوه وأكرهوه على أن يسب الرسول ﷺ ولم يطلقوه حتى قال في الرسول ما يريدونه، فجاء نادماً إلى الرسول ﷺ، فقال له ﷺ: «كيف تجد قلبك ؟ » قال أجدته: مطمئناً بالإيمان . فقال ﷺ: «إن عادوا فعد»^(١) فأنزل الله هذه الآية ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُخْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَا كُنْ مَنْ شَرَحَ يَالْكُفَّارِ صَدَرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٦] فمن تنازل عن شيء من دينه من أجل طمع دنيوي، أو من أجل أن يرضي الكفار، أو أن يجاملهم فإنه يكون مداهناً في دين الله عز وجل بخلاف التقية التي يضطر إليها الإنسان اضطراراً وهي لأجل دفع الإكراه ، وكونه يصبر على الأذى ولا يأخذ بالرخصة كما فعل الإمام أحمد رحمه الله في مخنة خلق القرآن أفضل من الأخذ بالرخصة.

(١) تقدم تخریجه.

قال الشيخ رحمه الله : « وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً »

الشرح .

هذه النواقض العشرة لماذا اختارها الشيخ مع أن النواقض كثيرة ؟
اختار هذه النواقض العشرة لأنها أكثر النواقض وقوعاً في الناس،
ولأنها أشدّها خطراً فهو اختيارها لأمرتين :
أولاً : لأنها أكثر النواقض وقوعاً .
وثانياً : أشد النواقض خطراً .
وما كان كذلك فهو جدير بالعناية والحذر .

قال الشيخ رحمه الله : « فينبغي للمسلم أن يحذرها ويحاف منها على نفسه ».

الشرح .

قوله : « ينبعي » معناه : يجب، أي : يجب على المسلم أن يحاف من الوقع فيها .

قوله : « أن يحذرها » أي : لا يزكي نفسه ويقول أنا عارف وأنا لست بحاجة إلى تعلمها ، وأن الناس ليسوا بحاجة إلى التوحيد وتعليمه والناس مسلمون ! آمنون من الخطر ، والإنسان ما دام على قيد الحياة فإنه معرض للفتنة ، وإبراهيم عليه السلام الذي كسر الأصنام بيده وألقى في النار من أجل ذلك يقول في دعائه لربه : ﴿ وَاجْتَبِنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، فإذاً إبراهيم عليه السلام خشي على نفسه من عبادة الأصنام لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، ولأن الإنسان قد يزيغ ويضل بعد هدى، فلا يأمن الإنسان على نفسه من الزيف والضلالة، كم من عالم ضل، وكم من تقي فجر وانتكس، فما دام المسلم على قيد الحياة فإنه لا يأمن على نفسه من الفتن لا سيما مع اشتداد الفتن : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] قوله : « ويحاف منها على نفسه » أي يحاف ولا يأمن على نفسه .

قال الشيخ رحمه الله: «نعود بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه».

الشرح:

ختم المؤلف رحمه الله هذه الرسالة بالاستعاذه بالله والاعتصام به عز وجل والالتجاء إليه من غضبه وأسباب عقابه، وهذا مما يعطي المسلم الخوف من الله عز وجل، وأنه لا يأمن على نفسه من الفتنة والضلال ما دام على قيد الحياة، وهذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه : من كان مستنًّا فليستنْ بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة^(١) . فالحي لا تؤمن عليه الفتنة ولو كان من أتقى الناس وأعلمهم ما دام على قيد الحياة فإنه معرض للفتنة .

(١) أخرجه اللالكاني في أصول السنّة (١٣٠، ١٣١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٤٦٠)، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٨٨١) نحوه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨٠): «رجاله رجال الصحيح».

ثم قال : « وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآلـه وصحبه أجمعين . انتهى » .

الشرح .

وختـم شـيخ الإـسـلام هـذـه الرـسـالـة بـالـصـلـاـة عـلـى النـبـي ﷺ ، وـهـذـا خـير خـتـام ، فـالـصـلـاـة وـالـسـلـام عـلـى النـبـي مـشـرـوـعـة فـي بـدـاـيـة الـأـعـمـال وـفـي خـتـامـها ، لـقـولـه تـعـالـى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَيَّثَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وـهـذـا مـن حـقـوقـه ﷺ عـلـيـنـا أـن نـصـلـي وـنـسـلـم عـلـيـه .

والـصـلـاـة مـن اللـه عـلـى عـبـدـه معـناـهـا الثـنـاء عـلـيـهـ فـي الـمـلـأ الـأـعـلـى ، والـصـلـاـة مـن الـمـلـائـكـة معـناـهـا الـاسـتـغـفـار لـه ، والـصـلـاـة مـن الـأـدـمـيـنـ معـناـهـا الدـعـاء لـه ، فـنـحـن إـذـا قـلـنـا : صـلـى اللـه وـسـلـم عـلـى مـحـمـد فـإـنـا نـدـعـو اللـه أـن يـشـنـي عـلـيـه وـأـن يـسـلـم عـلـيـه فـي الـمـلـأ الـأـعـلـى .



*الأسئلة :

سؤال : يوجد جماعة يسمون أنفسهم القرآنيين ، وهم لا يأخذون إلا بالقرآن فهل يحكم بكفرهم ؟

جواب : نعم، لا شك في كفرهم؛ ولأنهم كاذبون في قولهم ما نعمل إلا بالقرآن ، فالقرآن أمرنا باتباع الرسول ﷺ ، ومن اتبع الرسول ﷺ العمل بسته لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

لَعَلَّكُمْ تَرْجُونَ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [آل عمران: ١٣٢] ، وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول﴾ [النساء: ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِخُذْلَةٍ وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا﴾ [النور: ٥٤] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِرَسُولٍ فَخُذُلُوهُ وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا﴾ [الحشر: ٧] والقرآن فيه أشياء مجملة لا يفسرها إلا الرسول ﷺ في سنته كالصلاه ، فالله جل وعلا ذكر الصلاه في القرآن وحث عليها ولكن هل يبيّن لنا عدد ركعات الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، هل القرآن يبيّن لنا هذا؟ هذا يبيّن في سنة الرسول ﷺ قوله عليه السلام : « صلوا كما رأيتمني أصلي »^(١).

وكذلك الزكاة جاء ذكرها في القرآن والأمر بإيتها ، ولكن هل بين القرآن نصاب الزكاة والمقدار الذي يؤخذ والأموال التي تزكي هذا كله بينه الرسول ﷺ ، فالسنة مبينة للقرآن ، فالذي لا يعمل بالسنة لا يكون عاملاً بالقرآن .

وهناك أشياء لم تذكر في القرآن جاء بها النبي ﷺ وأمر بها مثل نهيه عن الجمع بين المرأة وختالتها والمرأة وعمتها^(٢) ، هذا ليس بمذكور في القرآن والرسول ﷺ زاد في السنة الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وختالتها ، ويجب علينا العمل بالسنة كالعمل بالقرآن ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِرَسُولٍ فَخُذُلُوهُ وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا﴾.

وهؤلاء - أي القرآنيون - أشار إليهم النبي ﷺ الذي لا ينطق عن

(١) أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الهوى بقوله : « يوشك رجل شبعان متکع على أريكته يقول : بينما وبينكم كتاب الله، نخل حلاله ونحرم حرامه .. » ثم قال ﷺ : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » ^(١). فالنبي ﷺ أخبرنا عن هؤلاء وحذرنا منهم .

سؤال : هل الناقض العاشر : الإعراض عن دين الله هل يطبق على حق الرافضة ؟

جواب : هذا ينطبق على كل من أعرض عن دين الله لا يتعلم ولا يعمل به سواء من الرافضة أو الصوفية أو القبورية أو من غيرهم .
سؤال : هل يقع الإكراه للذى يندبح لغير الله جل وعلا أو يسجد للصنم ؟

جواب : الإكراه يكون على القول لا على الفعل . أما القول فيمكن أن يقول كلمة الكفر إذا أكره عليها لدفع الإكراه ، هذا الذي جاء في القرآن .

سؤال : أسلمت قبل ثلاثة أشهر ولدي أبوان كافران فكيف أتعامل معهما ، وهل لي أن أبغضهما بغضاً مطلقاً ؟

جواب : المعاملة تكون كما قال الله جل وعلا : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِإِلَهٍ وَآلِهٍ مُّخْرِجٍ مُّوَادِعٍ مَّنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢] فتبغضهما لله عز وجل ، وأما الإحسان إليهما

(١) أخرجه أحمد (١٧١٧٤، ١٧١٩٤)، وأبوداود (٤٦٠٤)، والترمذى (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢) من حديث المقداد بن معدى كرب بصريقة، وصححه الألبانى.

فتبر بهما وتحسن إليهما قال تعالى ﴿ وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَيْكَ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا
لَيْسَ لِكَ بِهِ، عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥] من باب رد الجميل، فالوالد له حق بالبر والإحسان إليه وأما المحبة بالقلب فلا تحب الكافر أبداً، وإبراهيم عليه السلام لما تبين له أن آباء
عدو الله تبرا منه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلها وصحبه.



فهرس الموضوعات

الصفحة

عنوان الموضوع

٥	مقدمة العلامة الشيخ صالح الفوزان شارح الكتاب.....
٩	مقدمة معد الكتاب محمد الحصين.....
١٣	ترجمة مؤلف المتن.....
١٥	مقدمة في شرح نوافعن الإسلام
٢٣	أنواع الكفر.....
٢٤	أصول الردة.....
٢٤	أقسام الناس في هذه النواقض.....
٣٠	أسئلة وأجوبة في مقدمة شرح النواقض.....
٣٦	الدرس الثاني في شرح الناقض الأول (الشرك في عبادة الله.....)
٤٤	أنواع الشرك.....
٤٩	الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.....
٥٠	شبهات عباد القبور والرد عليها.....
٥٦	أسئلة وأجوبة الناقض الأول.....
٥٩	الدرس الثالث في شرح الناقض الثاني(من جعل بيته وبين الله وسائط...)
٦٢	شبهات والرد عليها.....
٦٨	أقسام التوسل.....
٦٨	التوسل الجائز وأنواعه.....
٦٩	التوسل المنوع.....
٧١	شروط الشفاعة.....
٧٥	أسئلة وأجوبة الناقض الثاني.....

فهرس الموضوعات

الصفحة

عنوان الموضوع

الدرس الرابع في شرح الناقض الثالث (من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم....)	عنوان الموضوع عنوان الصفحة
٧٩
٨٤	الأحكام التي تبني على تكفير الكفار.....
٩٢	ما يجوز التعامل به مع الكفار.....
٩٥	أسئلة وأجوبة الناقض الثالث.....
الدرس الخامس في شرح الناقض الرابع (من أعتقد أن هدي غير الرسول أكمل من هديه....)	
٩٧
٩٧	الناقض الرابع يشتمل على مسألتين.....
١٠٠	الحكم بغير ما أنزل الله.....
١١٠	أسئلة وأجوبة الناقض الرابع.....
الدرس السادس في شرح الناقض الخامس (من أبغض شيئاً من دين الرسول ﷺ....)	
١١١
١١٣	الذين يبغضون ما أنزل الله عزوجل على فريقين.....
١٢٣	أسئلة وأجوبة الناقض الخامس.....
الدرس السابع في شرح الناقض السادس (من أستهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ....)	
١٢٨
١٣٨	أقسام الإستهزاء.....
١٤٠	أسئلة وأجوبة الناقض السادس.....
الدرس الثامن في شرح الناقض السابع (السحر ومنه الصرف والعطف....)	
١٤٢
١٤٢	أقسام السحر في الشرع.....

فهرس الموضوعات

الصفحة	عنوان الموضوع
١٤٨	حكم السحر.....
١٥٢	مسألة في حكم حل السحر عن المسحور.....
١٥٢	حكم حل السحر بسحر مثله.....
١٥٤	أسئلة وأجوبة الناقض السابع.....
	الدرس التاسع في شرح الناقض الثامن (مظاهرة المشركين ومعاونتهم...)
١٥٨
١٥٩	أقسام مظاهرة الكفار على المسلمين.....
١٦٣	مسألة حكم زواج الكافر من المسلمة.....
١٦٧	الفرق بين المداهنة والمداراة.....
١٧٠	أسئلة وأجوبة الناقض الثامن.....
	الدرس العاشر في شرح الناقض التاسع (من أعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج من شريعة محمد ﷺ ..)
١٧٥
١٨٧	أسئلة وأجوبة في شرح الناقض التاسع.....
	الدرس العادي عشر في شرح الناقض العاشر (الإعراض عن دين لا يتعلم ولا يعمل به ...)
١٨٨
١٨٩	أقسام تعلم العلم.....
	الدرس الثاني عشر في خاتمة شرح الناقض العشرة (ولا فرق في جميع هذه النواقض بين المازل والجاد....)
١٩٨
٢٠٣	أسئلة وأجوبة في شرح الناقض العاشر والخاتمة.....
٢٠٨	فهرس الموضوعات.....